

اختيار وإعداد

راجي عنايت

محنة النجم الأسود

.... وقصص أخرى



صفحة فارغة

محنة النجم الأسود

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م
الطبعة الثانية
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م
الطبعة الثالثة
١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

المحتويات

الصفحة

صفحة فارغة

مقدّمة

قال أحد النقاد «قصص الخيال العلمي متعة كبرى ، لكنها متعة تخفي وراءها أعماقاً جادة .. » .

وإذا كانت قصة أو رواية الخيال العلمي لم تلق بعد في حياتنا الأدبية ذلك الرواج الذي تلقاه في الدول الأكثر تحضراً ، والأبعد تقدماً في تطورها العلمي ، فالذي نتوقعه بحكم حرصنا على تقريب المسافة بيننا وبين تلك الدول ، أن نرى في القريب نهضة في ذلك المجال من مجالات التعبير الأدبي والعلمي في آن واحد .

لقد كان اهتمامي بالعلم والفن معاً بحكم دراستي ، وممارستي ، هو دليلي لاكتشاف قصص الخيال العلمي ، والاهتمام به .. كنت أشعر بعد قراءة كل قصة من هذه القصص بمتعة مزدوجة ، متعة أدبية ، ومتعة علمية ، بالإضافة إلى التعرف على مسار من مسارات التطور العلمي والحضاري ، كما تراه عين الفنان والعالم اعتماداً على الحدس والتخيل . وقد جعلني هذا أشعر بأننا في العالم العربي أحوج ما نكون إلى متابعة ما يصدر في هذا المجال ، لما فيه من فائدة لجيلنا الحالي والجيل القادم ، أياً كانت تخصصات أفراده . شعرت أننا في أشد الحاجة إلى أن نعلم قبل أن نحلم وأن نحلم قبل أن نضع خطوط تطورنا الحضاري .

بهذا الدافع سعيت لإصدار سلسلة «أغرب قصص الخيال العلمي» ، حتى أقدم من خلالها لقارئ اللغة العربية نموذجاً من هذا الفن ، قديمة وحديثة ، كما حرصت على أن تجيء هذه النماذج ممثلة لمختلف أنماط واتجاهات هذا النوع من الكتابة ، حتى أعطي القارئ فكرة عن أبعاده .

وسنرى أن الموضوع الرئيسي في قصص الخيال العلمي ، هو موضوع صراع الإنسان مع ما صنعته يداه في سعيه لتطوير حياته .. الصراع المرير الذي قد ينتهي بانتصاره ، وقد ينتهي بهزيمته .. وهو الامتداد الحديث لذلك الصراع التقليدي بين البطل الكلاسيكي وقدره المكتوب ، فالتطور هو قدرنا الدائم ..

ويجمع نقاد الأدب على أن أول قصة خيال علمي بالمعنى الدقيق للكلمة تعرفها الحركة الأدبية كانت تلك القصة التي كتبتها السيدة ماري شيللي ، زوجة الشاعر المعروف بيرسي شيللي ، وكانت تحمل اسم فرانكشتين .. أو بروميثيوس الجديد ، وذلك عام ١٨١٨ ، وهذه القصة تعتبر تطبيقاً نموذجياً لما نقوله ، لأنها قصة الإنسان المتمرد على الطبيعة الذي يدخل في تحديات معها ، فينهزم في النهاية في مواجهة ما صنعته يداه . هذه القصة ، التي يعتبرها النقاد من القصص الذكية المركبة الرائعة ، لم تلق قبولاً من حركة الأدب الإنجليزي باعتبارها «عملاً يتضمن عناصر من الخيال العلمي» ..

والغريب في الأمر أن هذه القصة لم تجد قبولاً لدى أهل قصص الخيال العلمي أيضاً ، فهم يأخذون على القصة أنها فتحت الباب واسعاً أمام سيل من أفلام الرعب الرخيصة . بالرغم من عدم وجود صلة بين تلك

الأفلام وهذه القصة ..

ومن بعد فرانكشتين ، تدفقت قصص الخيال العلمي ، وتصاعد عدد مطبوعاتها ، وصدر العديد من مجلات قصص الخيال العلمي الدورية ، في أنحاء العالم . وهذا يعني أن الجمهور قد استجاب لها ، وأقبل عليها .

الثابت أن قصص الخيال العلمي هو أدب القرن العشرين ، وهو أداة من أدوات التأمل الجريء للإنسان في الطبيعة والواقع ، وفي مكانته داخل الكون .

وقصص الخيال العلمي بالنسبة للحركة الأدبية العالمية المعاصرة ، عقيدة تستند إلى منهج علمي ، منهج نابع من صميم التطور التكنولوجي الراهن ، والحضارة البشرية المعاصرة . انها من أشكال الأدب التي تتيح لنا أن نمعن النظر في أحوال الإنسان والإنسانية . إنها تساعد الإنسان على اكتشاف نفسه ، ومعرفة معنى أن يكون إنساناً . إنها خلاصة المواجهة المتبادلة بين الظروف السريعة التغيير ، والإدراك الإنساني بشكل عام .

نحن نقدم في سلسلة «أغرب قصص الخيال العلمي» ، قصصاً لأهم كتّاب هذا النمط الأدبي ، من أمثال آرثر كلارك وإيزاك أزيموف وراي برادبوري وبرترام شاندلر ، آملين أن تساهم في نشر وإشاعة هذا النمط الهام من أنماط التعبير الأدبي ، الذي نحن في حاجة شديدة إليه .

راجي عنايت

السر

كان قد مضى على وجود هنري كوبر فوق القمر أكثر من اسبوعين ، عندما تبلور لديه الإحساس بأن شيئاً غريباً يجري من حوله . بدأ عنده ذلك الإحساس غامضاً ، مجرد شكوك ملحّة غير مفهومة ، يصعب على باحث مدّقق أن يأخذها مأخذ الجدّ . لقد جاء إلى القمر بناء على طلب إدارة الفضاء التابعة للأمم المتحدة (أونا) . فقد كانت (الأونا) حريصة دائماً على سلامة علاقاتها العامة ، وخاصة في الوقت الذي يسبق مرحلة إعتماد الميزانيات . عندما يتعالى صياح البشر الذين ازدحم بهم العالم ، يطالبون بمزيد من الطرق والمدارس والمزارع البحرية ، وفي نفس الوقت يرتفع صياحهم بالشكوى من البلايين التي تنفق على تجارب وبحوث الفضاء .

ها هو الآن يقوم بجولته الثانية إلى القمر ، مبرقاً إلى الأرض بما يزيد على ألفي كلمة يومياً . ورغم أن ما يقال قد ضاعت جدته ، إلا أنه بقي الكثير من عجائب وأسرار القمر الذي يعطي جديداً كل يوم . هذا القمر الذي ما زالت خرائطه حتى اليوم مرسومة بطريقة تقريبية إلى حد بعيد ، والذي ما زال معظمه لم يستكشف بعد . في الوقت الذي تشكو فيه معامله ومطاراته الفضائية من حاجتها الشديدة إلى اليد العاملة .

كانت بعض مناطق القمر بالطبع مألوفة إلى حد بعيد . فمن الذي لم ير الشق الذي بالأرض والجسم المعدني الراقد داخله ، والنصب التذكاري المقام إلى جانبه ، يحمل هذه الكلمات ، باللغات الرسمية الثلاثة لكوكب الأرض .

في هذه البقعة ..

وفي عام ٢٠٠ يو . تي .

الموافق ١٣ سبتمبر ١٩٥٩ .

وصل إلى هنا أول جسم من صنع الإنسان .

لقد زار كوبر من قبل هذا القبر الذي ترقد فيه (لونا ٢) والمقبرة التي تضم أجسام شهداء القمر والتي تحظى بشهرة واسعة . إلا أنها أضحت اليوم من مخلفات الماضي ، شأنها شأن ذكريات كولومبس والأخوين رايت .. أصبحت في ذمة التاريخ ، وما يهمه الآن هو المستقبل .

عندما هبط إلى مطار أرشميدس الفضائي ، لاحظ السعادة الشديدة التي انعكست على المدير العام عند وصوله ، والاهتمام الخاص بالجولة التي ينتويها . لقد هيأ له المدير كافة الترتيبات اللازمة . وسائل النقل وأماكن المبيت والمرافقين الرسميين . أصبح في امكانه أن يذهب إلى أي مكان يود زيارته ، وأن يسأل أي اسئلة تخطر على باله . لقد وثقت به (الأونا) دائماً لأن تقاريره كانت تتسم بالدقة والأمانة ، بالإضافة إلى أن علاقته بمن يحتك بهم كانت على الدوام ودية .

فما الذي حدث في هذه الجولة بالذات ؟ كيف تغير مذاقها ، فبدا مريراً ؟ .. لماذا ؟ .. لم يعرف بالتحديد ، ولكنه كان مصمماً على أن يعرفه .

تحرك كوبر إلى جهاز التليفون ، ورفع السماعة وهو يقول : اعطني الشرطة ، أريد أن أتحدث إلى المفتش العام .

في اللقاءات السابقة التي تمت بين كوبر والمفتش العام للشرطة شاندرا كومار سوامي ، لم يكن قد رآه في زيه الرسمي ، الذي أقبل يرتديه ، وكان اللقاء - وفق ما اتفقا عليه - عند مدخل الحديقة التي كانت مثار فخر مدينة «أفلاطون» على القمر . وفي ذلك الوقت من صباح ذلك اليوم الصناعي الذي اصطلح على أن يمتد إلى ٢٤ ساعة كما على الأرض ، كانت الحديقة مهجورة ، وهكذا أمكنهما أن يتحدثا معاً دون مقاطعة أحد .

كانا يسيران في الممر المفروش بالحصى الصغير ، يثرثران حول ذكرياتهما القديمة ، الأصدقاء الذين عرفوهما عندما كانا يدرسان معاً بالجامعة ، وعن أحدث التطورات في النظريات السياسية لما بين الكواكب .

كانا قد وصلا إلى منتصف الحديقة ، تحت مركز القبة الكبيرة الزرقاء التي تغطي المدينة بأسرها ، عندما دخل كوبر إلى لب الموضوع .

«شاندرا .. أنت تعلم كل ما يجري على سطح القمر وتعلم أيضاً أنني موفد من (الأونا) لأكتب سلسلة من التقارير ، تصلح بعد عودتي إلى الأرض وعند تجميعها لتكون مادة كتاب . فلماذا إذن يحاول بعض الناس هنا ، إخفاء بعض الحقائق عني ؟» .

كان من المستحيل حث شاندرا على الإسراع في الكلام ، فقد كان دائماً يأخذ وقته كاملاً قبل أن يجيب عن أي سؤال ، وكانت كلماته تنفذ بصعوبة حول مبسم الغليون الخشبي البافاري الذي يدخنه .

«أي ناس ؟ .. » سأل شاندرا بعد فترة من الوقت .

«أليست لديك أي فكرة ؟ .. »

هز المفتش رأسه نفياً وهو يقول « ليست لديّ أدنى فكرة » .

كان كوبر يعرف أنه يقول الحقيقة . فشاندرا قد يصمت في لحظات الحرج ، لكنه لم يكن يكذب أبداً .

« كنت أخشى أن أسمع منك هذا . حسن .. إذا لم تكن تعرف أكثر مما أعرف ، اليك المؤشر الوحيد الذي أملكه ، وهو الذي يبعث الخوف إلى نفسي .. قسم الأبحاث الطبية هنا .. يسعى دائماً إلى أن يبقيني في مسافة مناسبة منه .. » .

أخرج شاندرا الغليون من فمه ، وأخذ يتأمله وهو يهز رأسه متمتماً « هيه .. »

فقال كوبر « هل هذا هو كل ما لديك لتقوله ؟! »

« أنت لم تقدم ما يصلح بداية للتحرك . تذكر أنني لست أكثر من شرطي ينقصني خيالك الصحفي الخصب » .

كل ما أريد أن أخبرك به .. كلما بذلت مزيداً من الجهد في سبيل الاقتراب من القسم الطبي ، كلما ظهر البرود على تصرفاتهم بشكل أوضح ، وجاهدوا للابتعاد عني .. في زيارتي السابقة للقمر ، أظهروا جميعاً مختلف ضروب الود والصداقة ، وزودوني بالكثير من القصص اللطيفة . لكن في هذه المرة .. لم أستطع حتى مقابلة المدير ، فهو دائماً مشغول جداً ، أو في الجانب الآخر من القمر . على كل حال .. أي الناس هو ؟ »

« من .. دكتور هاستنجز ؟ .. شخصية شائكة .. شديد الكفاءة ، غير أن التعامل معه من أشق الواجبات » .

«وماذا تظنه يحاول أن يخفي ؟»
«ألم تكوّن بعد نظرية ما ؟»
«آه .. لقد فكرت في عدة احتمالات .. مخدرات ، خيانة ، تآمر سياسي .. إلا أنها بدت أفكاراً غريبة غير معقولة هذه الأيام ، .. ولكن بقيت لديّ فكرة تثير الرعب في نفسي .. »
رسم حاجبي شاندرا ما يشبه علامة الاستفهام .
وقال كوبر مستطرداً «أخشى ما أخشاه وجود وباء بين الكواكب» .
قال شاندرا «كنت أتصور أن هذا احتمال مستحيل» .
«نعم .. أدرك هذا .. فقد كتبت أكثر من مرة حول هذا الموضوع ، قائلاً إن أشكال الحياة على الكواكب الأخرى لها نظامها الكيميائي الخاص المختلف ، مما يجعل تأثيرها علينا مستبعداً . فجميع الميكروبات والجراثيم التي تصيبنا ، اقتضاها التكيف مع أجسامنا ملايين السنين . غير أن هذا الفرض كان يحيرني دائماً ، بل ويقودني إلى الشك في آرائي بين الحين والحين . بقي عندي دائماً ذلك التخوف ، من أن إحدى سفن الفضاء ستأتي يوماً من المريخ على سبيل المثال ، وهي تحمل ميكروباً خبيثاً ، يفشل الأطباء في التفاهم معه» .
ساد صمت طويل .. ثم قال شاندرا «سأبدأ تحرياتي فوراً ، فأنا أكره مثل هذا الاحتمال ، خاصة أنك قد لا تعلم بما جرى هنا في الفترة الأخيرة . لقد حدثت ثلاث حالات من الانهيار العصبي في القسم الطبي خلال الشهر الماضي .. وهو أمر غير طبيعي بالمرة» .
نظر شاندرا إلى ساعته ، ثم انتقل ببصره إلى السماء المزيفة التي تبدو

ممتدة إلى ما نهاية والتي كانت في حقيقتها لا تمتد إلى أبعد من مائتي قدم فوق رأسيهما . ثم قال وهو يتحرك في نشاط «دعنا الآن نعود ..» .

جاءت المكالمة بعد أسبوعين ، في منتصف الليل ، الليل القمري الحقيقي . وفقاً للتوقيت المحلي لمدينة «أفلاطون» ، تمت المكالمة صباح الأحد .

«هنري ؟ .. هذا شاندرا يتحدث . هل تستطيع أن تقابلني بعد نصف ساعة عند المدخل رقم ٥ للمدينة ؟ .. حسن .. سأراك ..»

هكذا إذن ؟! كان كوبر يعرف ..المدخل رقم ٥ يعني انهم سيمضيان خارج القبة أو الغلاف الصناعي للمدينة التي يعيشون فيها فوق القمر . لا بد أن شاندرا قد وصل إلى حقيقة جديدة .

منعهما وجود السائق معهما من النقاش ، بينما كان الجرّار القمري يتحرك بعيداً عن المدينة على طريق غير ممهد . وعند الأفق ظهر كوكب الأرض في اكتماله ، يلتمع بضوء أزرق مائل إلى الخضرة ، ويرسل أشعته تنعكس على أرض القمر الجهنمية . قال كوبر لنفسه ، هكذا ومهما بذل الإنسان من جهد ، سيظل دائماً من الصعب عليه أن يحيل القمر إلى أرض ساحرة جميلة .

اختفت القبة المزدوجة للمدينة خلف الأفق الحاد الشديد الاستدارة . واستدار الجرّار القمري مخلفاً الطريق الرئيسي ، يتبع آثار طريق جانبي تظهر معالمه بصعوبة بين الحين والحين . وبعد عشر دقائق ، رأى في مواجهته نصف كرة لامعة ، معلقة على صخور جاسئة متينة . عند مدخل هذه القبة كانت تقف مركبة أخرى تحمل علامة الصليب الأحمر .. فأدرك كوبر أنهما لم يكونا الزوار الوحيدين للمكان .

عندما وقف الجرار أمام مدخل القبة ، اندفعت إليهم الأنبوبة الضخمة المتحركة المنظمة لضغط الهواء فأحاطت بالجرّار الذي يركبونه . ثم سمع صفير قصير ناتج عن اندفاع الهواء عند عملية موازنة الضغط . ترجل بعد ذلك كوبر وشاندرا واتجها إلى داخل المبنى . وراحا بعد ذلك يلاحقان المرشد الذي أخذ يقودهما إلى مركز القبة خلال ممرات منحنية . وكانا أثناء السير ، يلقيان نظرات خاطفة على المعامل والأجهزة العلمية والعقول الإلكترونية ، كلها في أحسن حال ، مهجورة من البشر في صباح ذلك الأحد . قال كوبر لنفسه لا بد أننا وصلنا إلى قلب المبنى . وهنا أشار المرشد إلى قاعة دائرية واسعة ، وأغلق الباب خلفهما في هدوء .

كانت القاعة عبارة عن حديقة حيوان صغيرة . توزعت فيها الأقفاص والأحواض والأوعية التي تحتوي على نماذج من حيوانات ونباتات من كوكب الأرض . وسط هذه القاعة وقف في انتظارهم رجل قصير رمادي الشعر ، قلق النظرات ، اختفت من وجهه معالم السعادة .

« دكتور هاستنجز .. أقدم لك السيد كوبر » قالها شاندرا ، ثم استدار المفتش العام إلى رفيقه وأضاف « لقد اقنعت الدكتور هاستنجز بأن الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن نعيد بها الهدوء إلى نفسك ، هي أن يذكر لك الحقيقة كاملة » .

قال هاستنجز بصوت متعب « بصراحة .. لا أدري إذا ما كان قد بقي هناك ما يثير اهتمامي بعد الآن .. » كان صوته مهتزاً ، يتحكم فيه بالكاد ، وفكر كوبر : أهلاً ! .. نحن في الطريق إلى حالة انهيار عصبي جديد !

لم يضع العالم وقته في مجاملات أو رسميات أو مصافحات . سار إلى

أحد الأقفاص وأخرج منها كتلة حية من الفراء ، قربها من كوبر معلقة في الفضاء .

« هل تعلم ما هذا ؟ .. » سأل باقتضاب .

« بالطبع هو نوع من الفئران يشيع استعماله في المعامل » .

« نعم .. إنه لكذلك .. مع فارق وحيد هو أن عمر هذا الحيوان الذي أمسك به الآن خمس سنوات .. »

« جميل .. ولكن ما وجه الغرابة في هذا ؟ » .

« هاها .. لا شيء ! لا شيء بالمرة ! .. باستثناء حقيقة تافهة لا قيمة لها .. تقول إن أقصى عمر لهذه الحيوانات لا يتجاوز العامين .. بينما يعيش عندنا هنا بعض أفراد هذه الفصيلة حتى يصل عمرهم إلى عشر سنوات ! ! »

للحظة صمت الجميع ، وكانت تتردد في لحظة الصمت هذه أصوات حركة الحيوانات والحشرات داخل أقفاصها ، تخدش وتخمش وتقضم وتصيح صيحات خافتة . همس كوبر « يا إلهي ! .. لقد وصلتم أخيراً لطريقة لإطالة الحياة ! » .

« لا » أجاب هاستنجز « نحن لم نصل إلى أي شيء .. لقد أمدنا القمر بهذه النتيجة .. وكان من الممكن أن نتوقعها ، لو إننا كنا ننظر لما هو أبعد من أطراف أنوفنا .. » .

بدا هاستنجز كما لو كان أكثر تحكماً في عواطفه ، كما لو كان قد عاد مرة ثانية ، ذلك العالم المحض الذي يبهره الاكتشاف العلمي لذاته ، بصرف النظر عن عواقبه .

قال وهو يتنهد « على كوكب الأرض ، ننفق حياتنا كلها نصارع

الجاذبية ، التي تضعف عضلاتنا وتجذب معدتنا إلى أسفل بحيث تفقد شكلها . خلال سبعين سنة من حياتنا ، كم من أطنان الدم يضخها القلب ، على مدى كم من الأميال ؟ كل ذلك الجهد ، ينخفض إلى السدس . هنا على سطح القمر . فالجسم البشري الذي يصل إلى ١٨٠ رطلاً ، يزن هنا ٣٠ رطلاً فقط » .

« لقد فهمت .. » قالها كوبر ببطء « عشر سنوات للفأر .. فكم من السنوات للإنسان ؟ »

« ليس هذا قانوناً بسيطاً » .. أجاب هاستنجز « فالأمر يختلف وفقاً للحجم والجنس . منذ شهر مضى لم نكن قد تأكدنا بعد . ولكننا الآن على ثقة من أنه : فوق القمر يصل متوسط عمر الإنسان إلى مائتي سنة ! » .

« وكنتم تحاولون إخفاء هذه الحقيقة .. والاحتفاظ بها سراً خاصاً بكم ؟! »

« أيها الأحمق ! ألا تفهم ؟! »

تدخل شاندرا قائلاً بلطف « رويدك يا دكتور .. لا تنفعل » .

وبمجهود صادق ملموس ضبط هاستنجز أعصابه ، ثم عاد إلى الكلام خالية من الانفعال ، جعلت كلماته تسقط على عقل كوبر كقطرات المطر المتجمدة .

« فكر فيهم هناك ! ! » قالها وهو يشير إلى السقف ، إلى كوكب الأرض الذي لا يرونه الآن وإن كان حاضراً في وعي كل من يعيش فوق القمر في جميع الأوقات « ستة بلايين من البشر .. محشورون بين أطراف القارات يمتدون كل يوم ليشغلوا صفحة البحار والمحيطات في المدن العائمة .

وهنا .. » أشار إلى أرض القمر ، « فقط مائة ألف منا ، فوق كوكب يكاد أن يكون خالياً .. لكنه عالم تحتاج فيه كل يوم إلى معجزات في التكنولوجيا والميكانيكا والهندسة فقط لتعيش . عالم لا يستطيع الشخص أن يحصل فيه على وظيفة إذا ما كان معامل الذكاء عنده أقل من ١٥٠ .. » .

أخذ هاستنجز نفسه ثم قال « والآن .. نكتشف أنه بإمكاننا أن نعيش حتى نصل إلى سن المائتين على الأقل .. تصور كيف ستكون استجابتهم هناك لمثل هذه الأنباء ! » .

« إنها مشكلتك الآن ، أيها السيد الصحفي ، لقد ألححت في السؤال على هذه الحقيقة ، وها أنت قد حصلت عليها .. قل لي من فضلك .. فأنا مهتم حقيقة بمعرفة هذا ، كيف ستنقل إليهم هذا الخبر ؟ »

انتظر كوبر .. ثم انتظر .. وفتح فمه ثم أغلقه مرة ثانية .. غير قادر على التفكير في شيء يقوله .

وفي أقصى القاعة ، بدأ قرد رضيع في البكاء ..

النصف الضائع

« لا شيء يغيظني ، أكثر من ضياع نصف زوج من الأشياء » .

«لقد قلت إني آسفة .. » هكذا أجابت ، بصوت يوحي بأنها لم تكن آسفة أبداً ، ثم استطردت «وما كل هذه الضجة التي تثيرها حول الزر الضائع ، هل كان هدية من شقراء عرفتها يوماً ما ؟ .. » .

قال الزوج عابساً «لقد كانت هديتي إلى نفسي .. كل ما في الموضوع انني كنت محتاجاً لزوج من أزرار أكمام القميص ، فاتفق ذلك مع توفير المبلغ اللازم ... لقد عاش زوج الأزرار معي لسنوات طوال» .

فقالت الزوجة «وهذا فقط هو سر تعلقك به ؟ .. لا تعبس يا عزيزي .... فزوجتك المحبّة ستشتري لك زوجاً آخر عندما نعود إلى حياتنا المدنية » .

واصل الزوج عبوسه قائلاً «لكنني أريد زوجاً من الأزرار .. والآن ! » .

سألت في حيرة «لكن .. لماذا ؟ .. نحن هنا بمفردنا .. في المركبة الخاصة بنا .. في منتصف المسافة بين الحزام النجمي والمريخ .. وأنت تثير ضجة حول حاجتك المجنونة لزوج من أزرار القميص ! .. » .

قال بجفاء «لقد اتفقنا منذ البداية ، اننا لن نسمح لأنفسنا بالانزلاق إلى هوّة الإهمال والقذارة ، بالطريقة التي يبدو عليها بعض الأزواج الذين يقومون برحلات شبيهة برحلتنا هذه .. أنت تذكرين بلا ريب هؤلاء الذين

مررنا بهم في م ن ١٧٣ ج ت. الذين عرضوا علينا الانتقال إلى سفينتهم لتناول العشاء .. وكيف كان الزوج يرتدي زَيّ عمال المصانع ، وقد تلطخت ملابسه بالشحم والزيوت .. والزوجة تضع عليها ما يشبه ممسحة الأرض .. يشربون من الزجاجات مباشرة .. ويتناولون طعامهم من العلب المحفوظة ، و...» .

قالت مقاطعة «كانت تلك حالة مغرقة في الشذوذ ..» .

قال «أعرف هذا .. لكن تحركي هكذا بأكمام قميصي مدلاة ، أو مثنية إلى أعلى ، سيكون الخيط الرفيع الذي يفصل بيننا وبينهم» . سادت بينهما فترة من الصمت ، ثم استطرد الزوج قائلاً «الذي لا يقنعني ، هو سخافة الموضوع بأكمله .... أدخل الحمام لأغسل قميصي .. أضع أزرار القميص على حافة الحوض .. وبينما أنا أنشر القميص ليجف ، أمد يدي لتناول الأزرار ، فيسقط أحدهما في الحوض ، ويهبط إلى الماسورة .. أسرع إلى غرفة القيادة لأحضر أدوات أفتح بها الماسورة عند ثنيتها حيث استقر الزر .. وعندما أعود أجدك وقد أخذت تغسلين أشيائك في الحوض ، والمياه تتدفق فيه ، لتدفع بالزر بعيداً عن ثنية الماسورة ... لم تكن المشكلة لتتعقد لو أننا كنا في إحدى سفن الفضاء من الطراز القديم الذي يعتمد على الدائرة المغلقة في التصريف ... كنت تتبعت الزر على طول المواسير الممتدة داخل السفينة .. لكن ماذا أفعل .. فمع المياه المتوفرة نتيجة لاستخدام مولد هالفوسن الجديد .. ومع نظام التصريف إلى الفضاء ..» .

قاطعته الزوجة ساخرة «من يسمعك تتكلم هكذا يتصور انك فقدت جوهرة من جواهر التاج !!» .

قال محتداً «لكن أزرار قميصي تعني بالنسبة لي نفس ما تعنيه مجوهرات التاج بالنسبة للامبراطورة ..» .

قالت في ضيق «قلت إنني سأشتري لك زوجاً آخر من الأزرار» .

قال مدمدماً «لكنه لن يكون بنفس الشكل» ، وهمّ بالانصراف ، فقالت «إلى أين تمضي ؟» . أجاب بإيجاز «إلى غرفة القيادة» .

سألته ساخرة «لتمارس عبوسك وتجهمك على انفراد ؟» .

أجاب وهو ينصرف «لا .. لا يا عزيزتي .. لا ..» .

* * *

فقدت الزوجة شعورها عندما رأت الصواريخ المماسية تلتمع ، لتوقف دوران السفينة حول محورها الطولي . كانت في ذلك الوقت داخل مطبخ سفينة الفضاء ، تعد طبق «الاسباكيتي» للعشاء .. إلاّ أن إعداد «الاسباكيتي» لا يتفق مع توقف حركة السفينة حول نفسها وانعدام الجاذبية داخلها .. لم تنتظر الزوجة لتنظيف وجهها وشعرها وملابسها من شرائط «الاسباكيتّي» التي طارت في الهواء وأغرقتها ، بل ذهبت مباشرة إلى غرفة القيادة ، مستندة إلى القضبان المثبتة في جوانب الطرقات لتتفادى السقوط ، مع حركات السفينة غير المنتظمة .

صاحت في زوجها «أنت .. أنت أيها القرد الذي له عقل فراشة .. منذ متى تصورت أننا نستطيع أن نتحرك دون جاذبية .. لقد أفسدت القوة الطاردة المركزية كل ما كنت أعده للعشاء» .

قال مفاخراً «لقد وجدت زر القميص الضائع .. تعرفين طبعاً نظام طرد الفضلات من السفينة .. تخرج كلها في اتجاه مماس للسفينة عن طريق القوة

الطاردة المركزية .... صانعة زاوية قائمة مع خط الطيران .. وهكذا واتتني الفكرة .. أوقفت دوران السفينة حول نفسها ... » .

قاطعته مغتاظة « عظيم .. وبعد ؟ .. » .

أشار فرحاً إلى موقع من الشاشة البانورامية العريضة التي تحيط بغرفة القيادة « ها هو .. هل ترين ذلك الجسم الدقيق الذي يشبه سفينة فضاء صغيرة جداً .. انها فعلاً سفينة فضاء صغيرة .. »

قالت « وهكذا عرفت مكان الزر الضائع .. فقط على بعد ثلثمائة متر .. مبتعداً عنا طوال الوقت .. ومن أجل هذه المعلومة التي لا نفع منها ، أفسدت العشاء الذي كنت أعدّه ! » .

قال وقد التمعت عيناه « من قال إنها غير نافعة ؟ .. لماذا نحمل معنا في السفينة بدلة فضاء .. ؟ »

قالت مذعورة « لا تقل إنك ستذهب إلى خارج السفينة .. لا تقل هذا .. لا أعتقد أن الحماقة تصل بك إلى هذا .. » .

أجاب غير مبال « كل هذا بسبب انك مصابة بخوف مرضي من بدلة الفضاء ؟! » .

صاحت « وغلطة من كانت ، عندما خرجت لأجد خزان الهواء فارغاً إلى ثلاثة أرباعه ؟ » .. أجاب ببرود « غلطتك أنت .. الكل يعرف : أنه قبل ارتداء بدلة الفضاء ، يجب التأكد شخصياً من سلامة أجهزتها ، حتى يمكن الخروج إلى الفضاء » .

قالت غاضبة « بعض النساء يكن على درجة من الحماقة » فيثقن بأزواجهن .. هن اللاتي لم يجتزن الخبرات الصعبة المريرة التي مررت بها » .

قال «وبعض الرجال ، تبلغ بهم الحماقة ، انهم يتصورون معرفة زوجاتهم بأبسط المعلومات عن نظام صرف الفضلات في سفن الفضاء الحديثة» وتوقف عن الحديث ليشير إلى الشاشة «ها هو زر قميصي .. سألحق به» .

قالت بحسم «لا .. لن تجده» .

قال بإصرار «بل سأجده .. سآخذ معي وحدة الحركة المضادة ، وسأخرج من السفينة وأنا متصل بحبل الحياة .. وعليك أنت مراقبة الشاشة ، وتوجيهي بحيث آخذ وضعاً يعترض المدار الذي يسبح فيه زر القميص» .

قالت غير مصدقة «أنت بلا شك غير جاد .. وإلا فأنت مجنون» .

قال دون مبالاة «لست أكثر جنوناً من التي تدفع المياه في الحوض لتفقدني زر قميصي» ، قالت مترددة «لكن .. لكن قد يحدث أي شيء .. وأنت تعلم جيداً انه ليس بإمكاني أن أرتدي بدلة الفضاء ثانية ، قبل أن يتم علاجي من التجربة السابقة» .

قال «لن يحدث شيء .. ليس عليك سوى الجلوس لمراقبة الشاشة ، وتوجيهي إلى الوضع السليم .. أعتقد أن هذا هو أقل ما يمكنك أن تقدميه» .

أخرج بدلة الفضاء من مكانها ، وبدأ يدخل فيها .

كان من واجبه أن يقدر الموقف بشكل أفضل . كان عليه أن يدخل في اعتباره أن القواعد التي وضعتها لجنة الانتقال بين الكواكب ، قواعد حكيمة . والقانون رقم ١١ ب يعتبر من بين هذه القواعد الحكيمة ، فهو يقول (لا يسمح لأي شخص بالخروج من سفينة الفضاء دون رفقة زميل

له) ، ورغم أن هذه القواعد قد وضعت للسفن الكبيرة التي تعج بركابها ، إلاّ أن ركاب السفن الصغيرة الذين يهملونها ، نادراً ما يعيشون ليستمتعوا بسنوات عمرهم المتقدمة !! .

وهو لم يحدث له - بعكس زوجته - أن واجه أية مصاعب مع بدلة الفضاء ، ولعل هذا هو السبب في إهماله واستهتاره ... لقد بقي معلقاً في الفضاء عند نهاية حبل الحياة ، منتظراً أول تعليمات تصل إليه خلال السماعات المثبتة داخل غطاء الرأس بالبدلة . لقد وصلته التعليمات أخيراً في صوت يشبه التذمر «على بعد مترين .. أمسك .. على بعد متر واحد !» .

التمع مسدس الحركة المضادة التماعة قصيرة ، فاندفع جسمه إلى الأمام . ورأى الزر يسبح في الطريق إليه .. قطعة ذهب براقة تلمع في ضوء الشمس . ارتفعت ضحكته . ومد يديه إلى الأمام ليمسك به ، فاكتشف أنه يمسك بالمسدس في يده اليمنى ، اليد التي يتمكن بها من إحكام القبضة على الزر الطائر .. حاول أن ينقل المسدس إلى يده اليسرى ، ومن فرط ارتباكه انفلت المسدس من يده ، سابحاً في الفضاءاللانهائي .

«أمسكت به !!» ، هكذا صاح في الميكروفون المثبت داخل الخوذة .

العودة إلى السفينة ستكون سهلة ، ما عليه سوى أن يمسك بحبل الحياة ، ويجذبه فيقترب من السفينة حتى يصلها .. وهنا فقط .. اكتشف الحقيقة التي بددت الابتهاج الذي كان يشعر به .. لا يعرف كيف ومتى انفصل الحبل عن السفينة .. وهكذا بدأ يسبح الفضاء مبتعداً عن السفينة . لم يكن معه ما يمكن أن يقذفه إلى الخلف حتى يتحرك جسمه في اتجاه السفينة .. لم يكن معه سوى زر القميص الذي لم تكن كتلته كافية لتحريك جسمه

ولو مسافة صغيرة إلى الامام .

سألت الزوجة بقلق «ما الذي حدث ؟» .

قال كاذباً «لا شيء ...» .

أخذ يفكر .. انها لن تستطيع الخروج ببدلة الفضاء ، ومع ذلك الخوف المرضي الذي تعاني منه .. وحتى إذا تغلبت على خوفها الشديد ، فخروجها إلى الفضاء في هذه الحالة مخاطرة كبرى .. ليس هناك معنى لأن يضيعا معاً في الفضاء .... وداعاً .. وداعاً يا حبيبتي .. لقد كانت حياتي معك سعيدة .. عودي بالسفينة إلى الأرض ، وابحثي عمن يشتريها .. قالت الزوجة بمزيد من القلق « ما الذي حدث ؟ » .

«لا شيء» ، قالها يائساً .. ورغم أن مؤشر الضغط في البدلة يفيد أن الجهاز يعمل بكفاءة ، إلاّ أنه أحس بالضغط داخل البدلة يتزايد .

صاحت فزعة «هناك خلل ما .. تكلم .. ما الذي يحدث عندك ؟» .

اعترف لها أخيراً «نعم .. كل ما أطلبه منك هو أن تنفذي ما أطلبه .. عندما تصلين إلى المريخ .. اطلبي من توكيل مؤسسة سوريسون لسفن الفضاء ، إجراء مراجعة كاملة لمعدات السفينة .. و.. و.. » كان يناضل من أجل أن يتنفس، «لقد كانت غلطتي .. حافظي على نفسك .. لا تهتمي بأمري ..»

وأغمي عليه ...

* * *

كانت المفاجأة عظيمة ، عندما أفاق ليجد نفسه نائماً على الفراش في قمرته بالسفينة ، كان وجهها أول ما رآه .. تملأه الدموع .. متسخاً ..

ولكن سعيداً .. وأدار بصره ليرى ما تحمله في يدها .. قميص نظيف ينتهي كلّ كمّ من أكمامه بزر لامع .

قال برقة «لقد خرجت إلى الفضاء .. لقد أحضرتني إلى هنا .. لكن .. لكن خوفك يا عزيزتي .. خوفك المرضي من بدلة الفضاء ..»

قالت «لقد وجدت لديّ خوفاً أكبر منه ، شبيهاً بخوفك أنت» ، وانحنت فوقه تقبله ، واستطردت «أنا أيضاً أكره ضياع نصف زوج من أي شيء .. لا أعني فقط أزرار القميص ! ..» .

ابن نكته

راجع نويل مايرهوف القائمة التي كان قد أعدها ليختار ما يبدأ به ، وكالعادة اعتمد أساساً على حدسه .

كان يبدو كالقزم بالنسبة للجهاز الذي يواجهه ، وبالرغم من أن ما يظهر منه يعتبر جانباً بسيطاً من كيانه المعقد الضخم . إلا أن هذا لم يؤثر في نفسه ، طالما استقر في داخله ذلك الشعور القوي بأنه سيد هذا الجهاز .

قال مايرهوف : عاد جونسون إلى بيته مبكراً من إحدى رحلات العمل ليجد زوجته بين ذراعي أعز أصدقائه . فصاح وقد أخذته المفاجأة «ماكس أنا متزوج من هذه السيدة ، ومن ثم ملزم باحتضانها .. ولكن أنت ؟ ما الذي يجبرك ؟!»

اعتدل مايرهوف في جلسته وقال لنفسه ، فلندع هذه الجرعة تدخل إلى أمعاء الجهاز ، وتستقر فيه بعض الوقت .

ثم سمع صوتاً من خلفه «أهلاً ...» .

محا مايرهوف هذه الكلمة من التسجيلات وأوقف عمل الجهاز ، ثم صاح غاضباً «إنني أعمل .. ألا تطرق الباب قبل أن تدخل ؟!» .. لم يبتسم مايرهوف كما هي عادته عندما يحيي تيموثي ويستلر ، وهو رئيس المحللين الذي يتعامل معه في معظم عمله . لقد عامله بغضب كما لو كان

متطفلاً اقتحم عليه المكان .

هز ويستلر كتفيه بلا مبالاة . كان يرتدي معطف المعمل الأبيض ، وقد ضغطت قبضتاه على جيبي المعطف ، مما جعله مشدوداً على جسمه في خطوط رأسية حادة وقال « لقد قرعت الباب ولكني لم أتلق إجابة ، كما أن لافتة العمل لم تكن معلقة على الباب من الخارج » .

زفر مايرهوف في ضيق . لم يكن الأمر دائماً على هذه الصورة ، لقد استولى عليه اهتمامه المركز بالمشروع الجديد ، وأصبح يسهو عن بعض التفاصيل الصغيرة ، إلا أنه لم يكن يوجه اللوم إلى نفسه على هذا ، فالمشروع بالنسبة له على درجة قصوى من الأهمية .

لم يكن يعرفِ على وجه التحديد سر هذه الأهمية ، فالاساتذة العظام نادراً ما يبحثون ذلك ، وهذا بالتحديد هو ما يجعلهم يصنّفون تحت لقب « استاذ عظيم » ، كونهم غير خاضعين للمنطق الشائع . فأي عقل بشري غير عقولهم يستطيع أن يتعامل مع منطق هذه الكتلة الممتدة إلى عشرة أميال طولاً ، والتي يطلقون عليها « مليتفاك » أعظم عقل الكتروني تم بناؤه على الإطلاق ؟! .

قال مايرهوف « أنا أعمل الآن . هل لديك أمر هام ؟ »

قال ويستلر « ليس مما لا يمكن تأجيله . هناك بعض المعلومات الناقصة في الإجابة الخاصة بالفضاء الأقصى .. » . قال هذه الكلمات وذهنه يردد التساؤل الحقيقي الذي يشغله .. ما قاله له مايرهوف .. من أنه يعمل ! .

سأل مايرهوف « نعم .. ما هي المعلومات الناقصة ؟ » .

قال ويستلر وهو يتطلع حوله في أنحاء الحجرة التي شغلتها أكوام

الأجهزة والمعدات المكونة لجانب بسيط من العقل الالكتروني ماليتفاك «ولكن .. أنا لا أرى أحداً معك» أجاب مايرهوف «ومن الذي قال ان أحداً يوجد معي .. أو يجب أن يوجد معي .. ؟»

قال ويستلر مبتسماً «ولكنك كنت تلقي إحدى نكاتك .. أليس كذلك ؟»

علق مايرهوف بحزم «وبعد ؟» ..

ضاعف ويستلر ابتسامته قائلاً «لا تقل إنك كنت تلقي هذه النكتة على ماليتفاك ؟!» .

قال مايرهوف بعصبية «ولماذا لا ؟» .

نظر إليه مايرهوف بترفع وهو يقول «لا أعتقد أنني مطالب بتقديم حساب عن عملي إليك .. أو إلى أي شخص آخر» .

تدارك ويستلر الموقف معتذراً «يا الله .. بالطبع لا . لقد أثرت فضولي ، هذا كل ما في الموضوع وحيث انك منهمك في عملك ، فاسمح لي بأن أنصرف» .

قال مايرهوف بحزم «يحسن أن تفعل ذلك ..» وأخذ يتابع انصراف ويستلر ثم عاد إلى الجهاز الضخم ، وأخذ في تشغيله ثانية بضغطات عصبية من أصابعه ، ثم نهض يذرع الحجرة ذهاباً وإياباً .. اللعنة على ويستلر .. اللعنة عليهم جميعاً . هل يحق لهم تجاوز صلاحياتهم لمجرد أنه يعاملهم كفنانين خلاّقين .. سواء كانوا من الفنيين أم المحللين أم الميكانيكيين ؟ فليأخذهم الشيطان جميعاً ! .

بعد جهد ، عاد مايرهوف إلى جهازه العجيب وتطلع إلى أوراقه ثم قال

في الميكروفون الخاص بالجهاز : خلال عاصفة هوجاء تابع البحار ذلك الراكب الذي انحنى فوق السور على سطح السفينة ، وأخذ يفرغ ما بجوفه نتيجة لدوار البحر . قال البحار وهو يربت برفق على كتف الراكب « رويدك يا سيدي .. أعلم أن حالة البحر سيئة .. لكن صدّقني .. لا أحداً يموت من دوار البحر .. » . رفع الراكب وجهه المتشنج في ألم ، وقال بصوت مبحوح « لا تقل هذا ، بحق السماء . لا تقل هذا ، فأملي الوحيد في الموت هو الذي يبقيني حياً ! .. »

* * *

سار ويستلر منشغل الفكر ، وإن لم يمنعه هذا من توجيه ابتسامة وإيماءة إلى السكرتيرة التي عبر مكتبها .. ردت بابتسامة .

وأخذ يفكر ، أليس هذا شيئاً متخلفاً في مجمع العقول الالكترونية الذي يعملون داخله ، في القرن الحادي والعشرين .. سكرتيرة آدمية !! ، لعل هذا يكون مناسباً داخل قلعة العقول الإلكترونية ، فبعد أن شغل « مالتيفاك » كل الفراغ ، تضاءلت أدوار العقول الإلكترونية الأخرى ، وأصبحت شيئاً متخلفاً لا نفع منه .

دخل ويستلر مكتب إبرام تراسك المسؤول الحكومي للمشروع ، فوجده يشعل غليونه ، ويصوب إليه نظرات مدققة ، ثم قال « أهلاً ويستلر . تفضل .. إجلس » . جلس ويستلر وهو يقول « أعتقد أنك ستواجه مشكلة يا تراسك » .

بنصف ابتسامة قال تراسك « أرجو ألا تكون ذات طبيعة تكنيكية . فأنا كما تعلم مجرد رجل سياسة بريء » (وكانت هذه واحدة من لزماته

المخبّبة) .

- «أنها تتعلق بمايرهوف ..» .

جلس تراسك متجمداً في مكانه وقد بدت عليه التعاسة «هل أنت متأكد ؟» .

– «بالطبع» .. وأدرك ويستلر سر تعاسة تراسك ، فهو المسؤول الحكومي في قسم العقول الإلكترونية والتسيير الآلي بوزارة الداخلية . ومن المفروض أن يختص بالمسائل السياسية التي تمس العاملين في مشروع «مالتيفاك» لكن «الأستاذ العظيم» لا يمكن اعتباره واحداً من العاملين ، أو حتى مجرد بشر .

ففي التاريخ المبكر للعملاق «مالتيماك» كان من الواضح أن التعامل مع الجهاز هو عنق الزجاجة في تطور المشروع . «مالتيماك» يستطيع أن يقدم إجابه شافية عن جميع المشاكل الإنسانية .. جميع المشاكل ، إذا وجهت إليه الأسئلة المناسبة ذات المعنى . ونظراً لأن المعارف قد تراكمت في السنوات الأخيرة بمعدلات متسارعة . فقد تزايدت صعوبة العثور على هذه الأسئلة المناسبة . والتفكير المنطقي وحده لم يعد يكفي . الأمر أصبح يتطلب نوعاً نادراً من الحدس ، بنفس مزايا التفكير العقلي ، إنما بصورة أكثر تكثيفاً .. ذلك النوع من المواهب الذي يصنع كبار أساتذة لعبة الشطرنج .. ذلك العقل الذي يستطيع أن يلتقط الحركة المناسبة وسط عشرات الحركات المحتملة .

تحرك تراسك متململاً «ما الذي فعله مايرهوف ؟» .

قال ويستلر «لقد وجدته يغذّي (مالتيفاك) بمعلومات أراها غريبة

ومربكة » .

قال تراسك « ما الذي تقوله يا ويستلر ؟ .. هل هذا كل ما في الموضوع ؟ لا يمكننا أن نمنع أستاذاً عظيماً من أن يوجه أي أسئلة تخطر على باله إلى مالتيفاك .. فلا أنا ولا أنت ، مؤهلون مثله لتقييم هذه الأسئلة ومدى أهميتها .. أنت تعلم ذلك جيداً » .

أجاب ويستلر « بالطبع أعرف . ولكني أعرف أيضاً مايرهوف . هل حدث أن التقيت به اجتماعياً ؟ »

قال تراسك « يا لله ! . بالطبع لا .. وهل تيسر لأحد أن يختلط اجتماعياً بواحد من الأساتذة العظام ؟ » .

قاطعه ويستلر متضجراً « أرجوك ، لا تأخذ هذا الموقف يا تراسك .. أنهم بشر ، وهم يستحقون الشفقة . هل فكرت يوماً فيما يكون عليه حالك لو أصبحت (أستاذاً عظيماً) ، وأنت تعلم أن هناك ما لا يزيد عن اثني عشر رجلاً مثلك في العالم ، وأنت تعلم أن واحداً أو اثنين يصعدان إلى هذه القمة كل جيل ، وأن العالم يعتمد عليك ، وأن آلاف علماء الرياضة والمنطق وعلم النفس والطب ينتظرون كلمتك ؟ »

تمتم تراسك « يا لله .. كنت أحس انني إله هذا العالم ! »

قال ويستلر بنفاد صبر « لا أظن ذلك . إنهم ملوك على لا شيء .. لا يتصل بهم أنداد لهم .. يفقدون إحساس الانتماء .. إسمع .. مايرهوف لا تموته فرصة للاجتماع بالعاملين .. فهو غير متزوج .. وبالطبع لا يشرب الخمر ، وليست لديه حياة اجتماعية بالمعنى المفهوم .. لذا فهو يقحم نفسه على أي صحبة تتاح له . هل تعلم ما يفعله عندما يجتمع بنا ؟ .. الأمر الذي

يتم مرة واحدة في الاسبوع على الأقل .. » .

قال تراسك بحيرة «ليست لديّ أية فكرة ، فهذه معلومات جديدة عليّ ..» .

استطرد ويستلر بانتصار « يقول النكت .. انه ابن نكتة كما يقولون ! »

صاح تراسك «ماذا ؟!»

قال ويستلر مواصلاً « إنه يروي النكات . نكات طيبة . إنه رائع . ففي إمكانه أن يتناول أي قصة .. مهما كانت مستهلكة وسخيفة . ويعيد صياغتها لتخرج من شفتيه مسلية ومضحكة ... إنها طريقته في الآداء» .

قال تراسك بارتباك « فهمت .. وبعد ؟! » .

استطرد رئيس المحللين « هذه النكات هامة بالنسبة له .. إنه يختلف عنا .. وهو يعلم ذلك . إن هذه النكات هي أداته الوحيدة ليندمج فينا ويصبح واحداً منا .. فنحن نضحك ونقهقه .. ونصفق .. وربما نخبطه على ظهره من فرط السرور ، وقد نسينا أنه (أستاذ عظيم) .. هذه هي صلته الوحيدة بمن يعملون في المشروع» .

قال ممثل الحكومة «إنه أمر مثير . لم أكن أعرف انك تتمتع بهذه المواهب السيكلوجية . ولكن ، إلى ماذا توصلنا هذه الحقائق ؟» .

قال ويستلر بانتصار .. «إلى ما يفعله حالياً .. ماذا يمكن أن يحدث عندما تفرغ جعبة مايرهوف من النكات ؟» ثم استطرد وقد بدت الحيرة على تراسك «إذا ما بدأ يكرر نفسه ؟ . إذا ما بدأ جمهوره يضحك بحماس أقل ؟ . أو توقف نهائياً عن الضحك ؟ . سيفقد صلته بنا . تراسك . إنه واحد

من اثني عشر عبقرياً يعتمد عليهم العلم . لا يجب أن تسمح بأن يحدث له أي شيء .. أنا لا أعني أشياء مادية أو بدنية ، فنحن حريصون حتى على سعادته .. من يدري كيف يكون تأثير التعاسة على قدرة الحدس عنده ؟! »

سأل تراسك «ولكن هل بدأ فعلاً يكرر نفسه ؟!! » .

قال ويستلر «حتى الآن ، وفي حدود معلوماتي ، لا .. ولكني أعتقد أن هذا يشغله ... !! » .

قاطعه تراسك «وما الذي جعلك تقول هذا ؟»

صمت ويستلر للحظة قصيرة ثم قال .. «لأنني سمعته يوجِّه نكاته إلى (مالتيفاك) » .

صاح تراسك فزعاً «لا ؟! »

واصل ويستلر « بالصدفة .. وعندما اكتشف وجودي . طردني بوحشية .. لقد كان دائماً دمث الطباع . وأنا أعتقد أن هذا التوحش نذير شر . ولكن تبقى حقيقة أنه يقول النكات ويغذّي بها (مالتيفاك) . وأعتقد أنه يعد برنامجاً خاصاً يغذي به (مالتيفاك) » . تساءل تراسك « كيف ؟ » .

قال ويستلر وهو يحك ذقنه بقبضته مفكراً «لقد فكرت في هذا . وأعتقد أنه ينشئ مخزناً للنكات داخل ذاكرة (مالتيفاك) ، حتى يقوم العقل الالكتروني باستنباط تنويعات جديدة من النكات ... هل تفهم وجهة نظري ؟ .. إنه يخطط لإنشاء (ابن نكته) آلي . وبهذا يحصل على إمداد لانهائي من النكات تحت الطلب ، كلما نفد رصيده منها » .

لم يضف تراسك سوى صيحته الجافة « يا لله ! »

استطرد ويستلر «من وجهة النظر الموضوعية .. قد لا يبدو أي خطر في

هذا ، ولكني أعتبرها بادرة سيئة ، عندما يبدأ (أستاذ عظيم) في استخدام (مالتيفاك) لأغراضه الشخصية . فكل (أستاذ عظيم) معرض لاحتمال الخلل العقلي ، ولذا يجب أن يراقب عن كثب ، ومايرهوف قد يكون على مشارف حالة ، تحرمنا من (استاذ عظيم) . »

قال تراسك بصراحة «وما الذي تقترحه عليّ ؟» .

أجاب ويستلر « يمكنك أن تتثبت من كلامي . فأنا أكثر قرباً منه بما لا يسمح لي بإطلاق الأحكام عليه ، وربما يكون الحكم على الناس ليس من بين مواهبي على أي حال . أنت رجل سياسي ، وهذا قريب من مواهبك »

صاح تراسك «الحكم على البشر ، وليس (الأساتذة العظام) ! »

قال ويستلر معترضاً «ولكنهم بشر أيضاً . ثم من الذي يقوم بهذه المهمة غيرك .. ؟»

أخذ تراسك ينقر على مكتبه باصبعه في حركات سريعة ، ثم قال «أعتقد ان واجبي يحتِّم عليّ هذا» .

* * *

قال مايرهوف للعقل الضخم (مالتيفاك) : كان الراعي العاشق يجمع صحبة من الزهور البرية لحبيبته ، عندما فوجئ بثور ضخم يواجهه ، تعبيراته لا تنم عن الود ، يحدق فيه بإصرار ، ويضرب الأرض بحافره مهدداً . تطلع الراعي حوله بسرعة ، فوجد فلاحاً يقف إلى الناحية الأخرى من السور الذي يجاوره ، فصاح «أيها السيد ، هل هذا الثور أليف يمكن أن أطمئن إليه ؟» . قال الفلاح وهو يتابع المشهد بعين ناقدة «إنه مطمئن

كأي شيء آخر» ثم بصق على الأرض «وإن كنت لا أستطيع أن أقول نفس الشيء عنك ؟» .

استعد مايرهوف للانتقال إلى الفقرة التالية ، عندما وجد ما قاطعه . لم تكن مقاطعة بالمعنى المفهوم . فمن الذي يستطيع أن يقاطع (أستاذاً عظيماً) . كانت مجرد رسالة صديق .. رئيس القسم تراسك يرجو أن تتاح له فرصة مقابلة (الأستاذ العظيم) مايرهوف إذا ما كان وقت الأستاذ العظيم يسمح بذلك .

كان بإمكان مايرهوف أن يهمل الرسالة ويواصل عمله . فهو لم يكن يخضع للنظام التقليدي السائد . ولكن من ناحية أخرى لم يكن يرغب في مزيد من المقاطعات بعد ذلك .. فمع كل احترامهم له ، ربما تسببوا في مقاطعة أخرى .. وهكذا ، أوقف عمل الأجهزة التي أمامه . وأعاد (ماالتيفاك إلى حالة السكون والتجمد ، بحيث لا يمكن لأحد أن يدخل ويعبث به في في أثناء وجوده في مكتب تراسك .

* * *

سعل تراسك وبدا عليه الحرج تحت وقع نظرات زائره المتفرّسة . قال «لم يحدث لي أن تشرفت بلقائك أيها (الأستاذ العظيم) ، ولعل هذا من سوء حظي» .

قال مايرهوف بلهجة تقديرية «لقد أرسلت اليك تقريري الدوري» .

وتساءل تراسك ، عما يختفي خلف هاتين العينين المتوحشتين . لقد كان من الصعب عليه أن يتصور مايرهوف بوجهه النحيف ، وشعره الداكن المستوي ، وبأذنيه الملتصقتين برأسه ، يلقي الحكايات المضحكة ، فقال

« التقارير لا يمكن أن تصل إلى مستوى التعارف الاجتماعي . لقد ... لقد وصل إلى علمي إنك تمتع الآخرين بفيض من الحكايات المسلية » .

قال مايرهوف بلهجة تقريرية « أنا ابن نكتة يا سيدي . هذا هو التعبير الذي يستخدمه الناس في مثل حالتي .. ابن نكتة » .

قال تراسك مرتبكاً « إنهم لم يستعملوا معي نفس التعبير أيها (الأستاذ العظيم) .. لقد قالوا .. ! ! » قاطعه مايرهوف قائلاً « إلى الجحيم بما يقولون . أنا لا يهمني ما يقولونه عني . إسمعني جيداً يا تراسك . هل تحب أن اسمعك إحدى نكاتي ؟ . » ومال على المكتب وقد ضاقت عيناه . قال تراسك وهو يحاول أن يصبغ صوته بترحيب مبالغ فيه « بكل سرور ... بكل تأكيد .. » . قال « وهو كذلك .. إليك هذه النكتة : تفرّست السيدة جونز في ورقة الحظ التي خرجت من الميزان الآلي . بعد أن وضع زوجها بنساً وهو يقف على الميزان . ثم قالت « أنظر ماذا يقول الحظ .. انك نبيه ، وبعيد النظر وجذاب بالنسبة للنساء » وقلبت الورقة في يدها ثم استطردت « وقد أخطأ الميزان في وزنك أيضاً » .

انفجر تراسك ضاحكاً . كان من المستحيل عليه أن يمتنع عن ذلك رغم أن نهاية النكتة كانت واضحة منذ البداية ، إلا أن البساطة المفاجئة التي روى بها مايرهوف نكتته مقلداً صوت المرأة ، والبراعة التي تحكم بها في تعبيرات وجهه ، قادت رجل السياسة إلى الضحك مرغماً .

قال مايرهوف جاداً « لماذا كانت هذه النكتة مضحكة ؟ »

ارتبك تراسك وقال مستفهماً « معذرة ! » .

عاد مايرهوف ليقول « لقد سألتك لماذا كانت هذه النكتة مضحكة ؟ ..

لماذا ضحكت عليها ؟»

وفي محاولة لأن يبدو منطقياً أجاب تراسك «حسن .. إن السطر الأخير منها ألقى ضوءاً جديداً على كل السطور السابقة .. ربما يكون عدم التوقع .. »

قال مايرهوف «الفكرة تكمن في انني صورت إهانة الزوج على يد الزوجة ، هذا النوع المألوف من الزيجات التي تعتقد فيه الزوجة أن زوجها يخلو من أي فضيلة . ومع هذا فقد ضحكت أنت على ذلك . إذا كنت الزوج المعني .. هل كنت تجد النكتة طريفة ؟» .

وجم تراسك ، ولم يتكلم .. ففكر مايرهوف قليلاً ثم قال «واليك هذه النكتة يا تراسك : جلس الزوج على طرف سرير الزوجة التي كانت في دور الاحتضار ، يبكي بمرارة وقد فقد قدرته على التحكم في نفسه ، عندما استجمعت الزوجة أطراف قوتها واستندت إلى كوعها لتنهض قليلاً عن سريرها قائلة للزوج في همس يمليه ضعفها : لا يمكنني أن أذهب إلى الخالق دون أن أعترف لك عن أفعالي السيئة .. » . فتمتم الزوج متأثراً «ليس الآن يا عزيزتي .. إرقدي على ظهرك واستريحي » . بكت المرأة قائلة «لا أستطيع . لا بد أن أتكلم وإلا لن تعرف روحي معنى السلام . لقد خنتك .. في هذا البيت .. منذ أقل من شهر .. » .

قال الزوج وهو يربت عليها «إهدئي يا عزيزتي فأنا أعلم كل شيء عن هذا .. وإلا .. فلماذا وضعت لك السم اليوم ؟! » .

حاول تراسك أن يضبط انفعاله ، ولكنه انفجر ضاحكاً رغم ذلك .

قال مايرهوف «إذاً فهذه مضحكة أيضاً .. الخيانة .. والجريمة ... ومع هذا مضحكة» .

قال تراسك مدافعاً «ولكن .. أنت تعلم يا سيدي ، هناك العديد من الكتب التي تخصصت في تحليل الفكاهة وأسباب الضحك» .

أجاب مايرهوف «هذا صحيح .. لقد قرأت عدداً منها .. الأكثر من هذا أنني قرأت أغلبها على (مالتيفاك) . ومع هذا فما زالت آراء مؤلفي هذه الكتب مجرد تخمينات .. بعضهم يقول إننا نضحك لأننا نشعر بنوع من التفوق على الناس اللذين تتكلم عنهم النكتة .. والبعض الآخر يقول إن السبب هو تحققنا المفاجىء بعدم الملائمة أو الانقضاء المفاجىء لحالة التوتر ، أو لإعادة التفسير المباغت . ولكن ألا يوجد سبب بسيط واضح للضحك ؟ ! . يختلف الناس في استمتاعهم بالنكت المختلفة . ولا توجد هناك نكات عالمية . بعض الناس لا تضحك على أي نكتة . ومع هذا ، فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يتمتع بحاسة صادقة للفكاهة والحيوان الضاحك الوحيد» ..

قال تراسك فجأة «لقد فهمت . أنت تحاول تحليل الفكاهة . وهذا هو سر إملاء سلسلة من النكت على (مالتيفاك)» .

اندفع مايرهوف قائلاً «ومن أخبرك بهذا ؟ ... لا يهم ، إنه ويستلر ... لقد تذكرت الآن .. لقد فاجأني أثناء عملي .. وما هو اعتراضك على هذا .. ؟!!» .

أسرع تراسك قائلاً «لا شيء .. لا شيء بالمرة !!»

فاستطرد مايرهوف «لا أظنك تغمطني حقي في إضافة ما أراه إلى الحصيلة العامة لمعارف (مالتيفاك) ، أو أن أوجه إليه أي اسئلة تخطر لي ؟ »

اندفع تراسك ليقول «لا .. لا بالمرة .. في الواقع ليس لديّ أي شك

في أن مثل هذا البحث سيقود إلى تحليل جديد يثير اهتمام علماء النفس» .

فكر مايرهوف قليلاً ثم قال «ربما .. ربما .. وفي نفس الوقت ، هناك ما يثير اهتمامي في هذا .. أبعد من مجرد تحليل الفكاهة . عندي بالتحديد سؤالان .. »

سأل تراسك وهو يشك فيما إذا كان الآخر سيجيب عن سؤاله ، فلم تكن هناك قوة تجبر مايرهوف على الإجابة ، سأل تراسك «آه .. وما هما ؟ » لكن مايرهوف قال « سؤالي الأول هو : من أين تأتي كل هذه النكات ؟ .. من الذي يؤلفها ؟ .. اسمع .. أنا لا أعلم عدد النكات التي رويتها للناس .. مئات .. ألوف . ورغم هذا فأنا لم أبتكر نكتة واحدة منها ، ولا وجدت من يزعم هذا . إننا نعيد القاء النكات فقط ، نكات قرأناها أو سمعناها .. ولا نشك أن الذين كتبوا أو قالوا هذه النكات نقلوها عن غيرهم . إنني لم أقابل شخصاً واحداً ادعى أنه ألـف نكتة أو ابتكرها ، إنما يقال لي : لقد سمعت منذ أيام نكتة طريفة .. الحقيقة الثابته أن جميع النكات قديمة» .

قال تراسك مندفعاً « هل هذا هو كل ما تبحث عنه ؟! » .. وأمسك لسانه قبل أن يقول « ياللسماء ومن الذي يهمه هذا ؟ ! »

أجاب مايرهوف بثقة «هذا بالفعل ما أبحث عنه . عليك أن تفكر في هذا ، ليس فقط كون النكات التي نتبادلها قديمة . الحقيقة انها يجب أن تكون قديمة حتى نستمتع بها . لقد استمعت إلى مزاح الآخرين .. وابتسمت له ، كما أدليت بدلوي في هذا ، وتلقيت ابتسامات الآخرين .. لكن الضحك الحقيقي لا يجيء إلا من النكتة القديمة ، لماذا ؟»

قال تراسك محتاراً «أنا لا أعرف بالتأكيد» .

ابتسم مايرهوف وهو يقول «لقد زودت (مالتيفاك) بكل المعلومات التي رأيت انها ضرورية في موضوع الفكاهة ، وقد انتهيت الآن من تزويده بعدد من النكات المختارة ... من هذا الرصيد عليه أن يجيب عن سؤالي . وحيث ان ويستلر قد أبدى اهتماماً بالموضوع ، أطلب منك أن تستدعيه ليجري تحليل الإجابات التي سيقدمها (مالتيفاك) .. ويمكنك أن تشاركنا في تلقي النتائج» .

أجاب تراسك وهو يتنفس الصعداء «بكل سرور أيها الأستاذ العظيم .. بكل سرور» .

* * *

في الموعد المحدد ، أخذ تراسك يتابع ما يحدث حوله دون أن يفهم شيئاً . كان مايرهوف يستخرج الشريط من جوف (مالتيفاك) ويناولها لويستلر الذي يزود بها عقلاً الكترونياً صغيراً ، يحول هذه المعميات إلى كلمات وعبارات مفهومة ، فلم يكن من المعقول أن ينشغل أستاذ عظيم مثل مايرهوف بهذا العمل .. وكانت هذه هي الوظيفة الأساسية لمحلل المعلومات التي يتولاها ويستلر .

وضع ويستلر السماعات على أذنيه ، وأخذ يستمع إلى الإجابات التي يتلقاها .. وأخذت قسمات وجهه تتعقد شيئاً فشيئاً .. وكان بين الحين والآخر «يطلق صيحات الاندهاش المكبوته» .

مرت ساعة .. تضاعف فيه تقطيب ويستلر وهو يتمتم «غير معقول» رفع السماعات عن أذنيه ، ونظر إلى مايرهوف ، وهو يقول بصوت

متخاذل «أيها الأستاذ العظيم يمكنني الآن أن أنقل إليك إجابات (مالتيفاك) بطريقة غير رسمية ... فالإجابات الحرفية الدقيقة تحتاج إلى مزيد من الوقت وإلى مزيد من عمليات التحليل الكاملة» .

قال مايرهوف وقد اكتسى وجهه بتعبير جاد «هيا .. تكلم» .

قال ويستلر «يقول (مالتيفاك) ان النكات تأتي من كوكب آخر !!»

اندفع تراسك محتجاً .. ما هذا الذي تقوله ؟»

واصل ويستلر «ألا تسمعني ؟! .. كل النكات التي نضحك عليها لم يؤلفها إنسان . لقد قام (مالتيفاك) بتحليل جميع المعلومات التي تم تزويده بها .. وجميع القرائن تشير إلى أن حياة ذكية على كوكب آخر هي التي ابتدعت هذه النكات .. ودسّتها في عقول بعض البشر على كوكبنا في أماكن مختلفة .. وفي أوقات متباينة .. بطريقة لا تجعل أي واحد من البشر يشعر بأنه مؤلفها .. وجميع النكات التي نرددها هي مجرد تنويعات للنكات الأصلية الواردة من الكوكب الآخر !!»

استمع مايرهوف إلى هذه الكلمات وقد احتقن وجهه نتيجة لانفعاله بالنصر ، الذي لا يشعر به سوى أستاذ عظيم ، اكتشف انه استطاع أن يسأل السؤال المناسب .

وتساءل تراسك «ولكن لماذا ؟ .. لماذا تجشموا هذا العناء ؟»

أجاب ويستلر «يقول (مالتيفاك) ان الهدف من هذا ، هو دراسة السيكلوجية البشرية . نحن نجري تجاربنا على الفئران بإطلاقها لتتحرك في المتاهات ، لدراسة ردود فعلها السيكلوجية . والفئران لا تعرف سبباً لمثل هذه المهمات . ذلك الشعب الذكي في الكوكب الآخر يدرس التكوين

النفسي لإنسان الأرض ، بتسجيل ردود فعله بالنسبة لمثل هذه النكات ، فكل إنسان يستجيب بطريقته الخاصة . والثابت اننا بالنسبة لسكان ذلك الكوكب ، كما الفئران بالنسبة لنا» .

قال تراسك محتجاً «بالله عليكم .. هل تصدقون هذا ؟»

أجاب ويستلر ببرود «هكذا يقول (مالتيفاك) ... غير أن المعلومات التفصيلية حول إجاباته .. تحتاج لبعض الوقت» .

هنا تدخل الأستاذ العظيم مايرهوف وقال «لقد طرحت سؤالين كما قلت لك .. وقد حصلت على إجابة عن السؤال الأول : وأعتقد أن (مالتيفاك) لديه الآن من المعلومات ما يسمح بالإجابة عن السؤال الثاني» .

قال ويستلر بتواضع واستسلام «ما هو السؤال الثاني ؟»

أجاب مايرهوف وهو يضغط على كلماته «لقد سألت : إذا عرفنا إجابة السؤال الأول فما هي نتيجة ذلك على الجنس البشري ؟»

وسأل ويستلر بمزيد من التواضع «وما هو سر تساؤلك هذا ، سيدي الأستاذ العظيم ؟»

قال مايرهوف بنبرة حالمة «مجرد شعور ، بضرورة طرح مثل هذا السؤال .»

انهمك ويستلر في عمله .. بينما أخذ تراسك يعاني من الأحاسيس التي تمر به .. وهو يتمتم بين الحين والآخر «جنون .. جنون مطبق !» . وبقي الأستاذ العظيم مطرقاً طوال الساعة التي استغرقها ويستلر في عمله .

فجأة صاح ويستلر وهو يضحك ضحكة عصبية «هذا كابوس .. كابوس فظيع ! ... هذا ..» فقاطعه مايرهوف ببرود «ما هي الإجابة ؟ أريد أفادة (مالتيفاك) وليس إفادتك أنت !» .

قال ويستلر بشماتة «وهو كذلك .. إليك الإجابة .. (مالتيفاك) يقرر أنه ، بمجرد أن يعرف آدمي واحد طبيعة هذه الدراسة السيكلوجية التي يجريها علماء الكوكب الآخر سيفقد هذا الأسلوب في دراسة النفس البشرية صلاحيته .. ».

مرت دقيقة ، تبادل فيها الثلاثة نظرات صامتة ..

ثم قال مايرهوف وهو مستغرق في تفكير عميق « لقد انتهى كل شيء .. هل تعلمون ؟ .. لقد حاولت الآن .. وحاولت دون نتيجة .. لقد فشلت في تذكر نكتة واحدة .. ولا نكتة واحدة . صدقوني .. أنا واثق أني إذا قرأت إحدى النكات في مجلة أو كتاب .. فلن أضحك عليها .. صدقوني ! » .

قال تراسك وقد أدرك أخيراً أبعاد الموقف « لقد سلبت منا نعمة الفكاهة .. لن يضحك البشر بعد الآن» .

وبقي الثلاثة جامدون في أماكنهم .. وقد سادهم شعور قوي بأن العالم من حولهم ، ينكمش ويضيق ، ليصبح في أبعاد متاهة التجارب التي تعدو فيها الفئران !! .

الجزيرة التي غرقت

«حاول أن تخمن مرة ثانية .. «قالها شرنجهام مبتسماً .

تناول ماكستيد السماعات ، وبحرص شديد وضعها على أذنيه ، وبتركيز أشد أخذ يتابع دوران الأسطوانة مستمعاً إلى الصوت الذي يتدفق إلى سمعه في محاولة لمعرفة طبيعة مصدر هذا الصوت .

كان ما يسمعه عبارة عن حفيف معدني سريع ، أشبه ببرادة الحديد وهي تتناثر من خلال قمع .. استمر الصوت لعشر ثوان ، متكرراً لعدة مرات ، لينتهي في آخر الأمر فجأة بما يشبه النبضات المتلاشية . سأل شرنجهام «هيه ؟ .. ماذا كان ذلك ؟» .

رفع ماكستيد السماعات عن أذنيه ، وهرش احداهما . لقد مرت عليه الان عدة ساعات يستمع إلى هذه التسجيلات ، مما بعث الطنين المتصل إلى أذنيه .

« يمكن أن يكون أي شيء .. ربما قالب من الثلج أثناء ذوبانه ! . »

هز شرنجهام رأسه نفياً ، وتحركت لحيته الصغيرة كالمروحة نتيجة لحركة رأسه .

قال ماكستيد وهو يرفع كتفيه في لا مبالاة «تصادم بين كوكبين ؟! . »

«لا .. لا يمكن .. فأمواج الصوت لا تنتقل خلال الفراغ . سأساعدك

قليلاً .. انه صوت يرد ذكره في الأمثال ..» وظهر الاستمتاع على وجه شرنجهام ، سعيداً بهذه اللعبة . أشعل ماكستيد سيجارة ، وألقى عود الثقاب على مائدة المعمل . فانصهر رأس العود مكوناً بركة صغيرة من الشمع ، تجمّدت مخلّفة أثراً أسود على المائدة . وأخذ يتابع ما فعله عود الثقاب بسعادة ، واعياً بتبرم شرنجهام الذي يقف إلى جانبه .

رسم ابتسامة ماجنة على فه وهو يسأل «هل هو صوت زوجين من الذباب يمارسان ..»

فقاطعه شرنجهام قائلاً «لقد انتهى وقت الامتحان ! . إنه صوت دبوس يسقط على الأرض» . ثم تناول الأسطوانة الصغيرة من فوق الجهاز وأودعها الغلاف .

«سقوط طبيعي ، لم أقذف الدبوس على الأرض بل تركته يسقط .. لقد استخدمت في هذا التسجيل ثمانية ميكروفونات . والآن .. سترى إذا ما كنت ستصل إلى معرفة الصوت التالي» .

مد شرنجهام يده إلى الأسطوانة الأخيرة ، وكانت من النوع الكبير فنظر ماكستيد بضيق ، وقبل أن يصل شرنجهام باسطوانته إلى الجهاز ، نهض وأخذ يتطلع من خلال النافذة العريضة حيث الساحة السماوية للبيت ، ورأى المائدة والأكواب وزجاجات الشراب تلمع وسط الظلام . لقد بدأ يضيق بحديث شرنجهام وألعابه الطفوليه حول تخمين أصل الأصوات الغريبة . فقال وهو ينظر إلى شرنجهام «دعنا نمضي إلى الخارج في الهواء الطلق .. أشعر أن أذني قد تحولت إلى قرص نحاسي كبير رنان ! ..»

«طبعاً .. طبعاً بكل سرور» قالها شرنجهام بكل حماس ، ثم وضع

الأسطوانة بعناية فوق الجهاز ، وأطفأه قائلاً «بالفعل .. أفضّل أن نؤجّل هذه الأسطوانة لما بعد .. هيا بنا» .

* * *

خرجا معاً إلى هواء المساء الدافئ .. أضاء شرنجهام مصباحاً يابانياً ملوناً ، ثم تمددا على مقعدين من المقاعد الخيزرانية المريحة تحت السماء الصافية .

قال شرنجهام «أرجو ألا يكون قد أصابك الضجر» ، ثم قال وهو يتناول زجاجة الشراب ، إن (الميكروسونيكس) أو علم الأصوات الدقيقة يعتبر هواية مدهشة ، وأخشى أن تكون هذه الهواية قد استولت على نفسي أكثر مما يجب» .

قال ماكستيد دون حماس «بعض التسجيلات كان مثيراً .. قيمتها الحقيقية في جدتها .. تماماً كما في حالة الصورة المكبرة مئات المرات ، لرأس نملة أو حد شفرة الحلاقة . غير أنه بالرغم من كل هذا ، لا أتصور أن ما تسميه الميكروسونيكس سيصبح يوماً ما أداة علمية نافعة .. إنه نوع من الألعاب المعملية .. فائض إمكانيات تكنيكية» .

هز شرنجهام رأسه نفياً وهو يقول «أنت مخطئ كلية .. صدقني .. هل تذكر سلسلة أصوات انقسام الخلايا التي أسمعتك إياها في البداية ؟ .. انقسام الخلية الحيوانية إذا ما تم تضخيمه مائة الف مرة ، يبدو لأذنيك كما لو أن عشرات قضبان الحديد وألواح الصلب تنسلخ عن بعضها البعض .. كيف وصفتها أنت عندما أسمعتك إياها ؟ .. آه .. لقد قلت على ما أذكر أنه تصادم سيارات مذاع بالسرعة البطيئة . ومن ناحية أخرى

رأينا كيف أن انقسام الخلايا النباتية يصدر صوتاً أشبه بالاشعار الالكترونية ، نغمات ناعمة ، وموسيقى راقصة . والآن ، ها هو دليل حي يثبت لك كيف يمكن للميكروسونيكس أن تكشف عن الفوارق بين المملكة النباتية والمملكة الحيوانية » . قال شرنجهام هذا وهو يصب بعض الصودا في كأس ماكستيد .

رشف ماكستيد رشفة من كأسه ثم قال « يبدو أنها طريقة مطولة وملتفة للوصول إلى حقيقة قريبة . تماماً كما يحدث عندما تريد أن تعرف السرعة التي تمضي بها سيارتك . فتلجأ إلى حساب حركتها النسبية بالنسبة لنجم من نجوم السماء ، بينما يكون من الأسهل أن تنظر إلى عداد السرعة داخل السيارة . ! .. » .

أطرق شرنجهام وهو يراقب ماكستيد بنظرة متفحصة عبر المائدة التي بينهما . ويبدو أن حماسهما للنقاش قد استنفد أغراضه ، فجلسا في صمت يمسك كل منهما بكأسه في يده .

الغريب في الأمر . ذلك العداء المتبادل القديم بينهما ، الذي بدأ يسفر عن وجهه بشكل ملحوظ في الأيام الأخيرة ، ففي كل لقاء جديد يظهر بشكل أكثر وضوحاً ، ذلك التناقض في شخصيتهما وأخلاقهما وطباعهما .

تمدد ماكستيد بجسمه الطويل الممتلئ ووجهه الوسيم في رجولة ، على المقعد في وضع أقرب إلى النوم ، وأخذ يفكر في سوزان . إنها الآن تستمتع بوقتها في ذلك الحفل الراقص ، ولولا أنه من غير الحصافة وحسن التدبير أن يظهر معها علانية في ذلك الحفل ، لكان الآن يستمتع بصحبتها بدلاً من جلسته المملة هذه مع زوجها شرنجهام .

لقد تحاشى دائماً صحبة شرنجهام كلما أتيح له هذا . وأخذ يتساءل إذا كان هذا الرجل يتمتع ببعض المزايا التي تغطي تظرفه الثقيل وحذلقته وفكاهته الأكاديمية الغليظة . ؟ بالطبع لا .. ولا حتى ميزة واحدة . هذا أمر يتضح من اللقاء الأول .

غير أن هذه الصورة التي يرسمها ماكستيد لشرنجهام لا تتسم بالموضوعية ، وتعكس عواطفه نحو الرجل أكثر مما تعكس حقيقة شرنجهام ، الأستاذ الجامعي المتفوق في الكيمياء العضوية ، والذي يقضي وقته بين العمل الجامعي وبين معمله الخاص في بيته الذي يجري فيه التجارب على تكبير الأصوات الدقيقة . ولعل السر في هذه الصورة التي يرسمها ماكستيد للرجل العالم ما يشعر به نحوه من غيرة . فماكستيد الرياضي السابق لم يصل إلى التفوق العلمي الذي حققه شرنجهام ، ولذا فقد اضطر في النهاية إلى أن يقبل عملاً ثانوياً في مصنع لانتاج المجاهر الالكترونية .

أخذ ماكستيد يفكر في دواعي هذه الدعوة غير العادية ، والتي تمت بناء على إلحاح شرنجهام في مكالمة تليفونية . فهو حتى الآن لم يشر إلى ما يفيد أنه على علم بالعلاقة التي بين زوجته وبين ماكستيد . لقد فكر كثيراً وهو في طريقه إلى بيت شرنجهام فيما يجب عليه أن يقوله لو فاتحه شرنجهام في الموضوع ، أخذ يتصور أشكالاً متفاوتة لمثل هذه المواجهة .

أفاق ماكستيد من خواطره فجأة ، وقد أحس أن الجو انقلب في الساحة التي يجلسان فيها ، كأنها قد سلطت عليها عشرات أجهزة التبريد التي تعمل بأقصى طاقتها . أصابته رعشة خفيفة . فأفرغ في جوفه ما بقي في كأسه وقال وهو ينظر إلى شرنجهام «أصبح الجو بارداً هنا» .

نظر شرنجهام إلى ساعته ثم قال بلهجة غامضة «بالفعل» .. وجلس في مكانه كما لو كان ينتظر إشارة ما . ثم نهض فجأة ، وقد ارتسمت على فمه ابتسامة غريبة وقال «لقد حان الآن وقت التسجيل الآخير» ..

«ماذا تعني ؟» ..

«لا تتحرك ، سأدير الجهاز» ثم أشار إلى مكبر الصوت المثبت على الحائط فوق رأس ماكستيد ، وألقى عليه نظرة متأملة وهو ينصرف .

تطلع ماكستيد إلى السماء الساكنة ، آملاً أن ينحسر تيار الهواء البارد الذي شمل الساحة وبعث الرعشة إلى جسده .

من مكبر الصوت الذي فوق رأسه صدر صوت يفيد بدء تشغيل الجهاز . غير أن الصوت تردد في نفس الوقت من مكبرات للصوت عديدة موزعة حول الساحة ، أخذ ينظر إليها واحداً واحداً لأول مرة .

هز ماكستيد رأسه ساخراً من تصرفات شرنجهام وهوايته الغريبة ، وقرر أن يسلّي نفسه بصب كأس جديد من الشراب . هم بأن يتحرك بجسمه تجاه المائدة فوجد نفسه يتطوح ويتطوح رغماً عنه ، مستلقياً مرة ثانية على المقعد . أحس بمعدته وكأنها قد امتلأت بالزئبق الثقيل ، وأحس بها باردة كالثلج . حاول مرة ثانية أن يجذب جسمه إلى الأمام ليمسك بكأسه ، لكن الكأس اصطدمت بالمائدة وسقطت متهشمة على الأرض . بدأ يفقد وعيه . فاستند بكوعيه إلى طرف المائدة ، وسقط رأسه بين كتفيه .

عندما رفع رأسه بعد ذلك ، رأى شرنجهام يواجهه مبتسماً في اشفاق «لست في أحسن أحوالك .. هيه ؟» قالها شرنجهام وهو يتأمله .

جاهد ماكستيد حتى تمكن من الاستناد مرة ثانية إلى ظهر المقعد المريح .

فتلاحقت أنفاسه . حاول أن يتكلم ، فاكتشف أنه فقد القدرة على تذكر الكلمات . أخذ قلبه ينبض بعنف ، وانقبضت أساريره من فرط الألم .

قال شرنجهام «لا تقلق .. إن التليّف هو أحد الآثار الجانبية .. قد يربك القلب بعض الشيء لكنه لا يلبث أن يهدأ» ..

وراح شرنجهام يتجول في أنحاء الساحة وعلى فمه ابتسامة مطمئنة ، ونظرته مصوبة إلى ماكستيد من مختلف الزوايا التي يقف عندها . وبسرور واضح عاد إلى الجلوس في مكانه متناولاً زجاجة الصودا . أخذ يرج محتوياتها في حركة دائرية وهو يقول «سيانيد الكروم ! . يوقف نشاط مشاركات الأنزيم التي تتحكم في توازن السوائل بالجسم .. كما يدفع أيونات الهيدروكسيد إلى مجرى الدم .. باختصار .. أنت تغرق .. تغرق فعلاً .. غرقاً حقيقياً ! ! .. ليس كما تغرق عندما تغطس في بانيو الحمام على كل حال .. لا يجب أن أصرف انتباهك بكلامي هذا عما ستسمعه الآن» ..

نظر شرنجهام إلى مكبرات الصوت ، التي بدأت تصدر ضوضاء خافتة ، كموجات مطاطة تترامى فوق بحر لزج . ثم صدر عنها ايقاع ضخم غليظ يثقله الصفير الكئيب العميق بضربات عملاقة . بدأت الأصوات خافتة لا تكاد تسمع ثم بدأت في الارتفاع حتى ملأت فراغ الساحة بأكمله ، فغطّت على أصوات العربات القليلة التي تعبر الطريق العام .

«خرافية ! أليست كذلك ؟ ..» قالها شرنجهام وهو يدير زجاجة الصودا من عنقها ثم نهض وخطا فوق ساقي ماكستيد ليضبط مستوى الصوت في أحد المكبرات . كان يبدو مرحاً أنيقاً ، وكأن شبابه قد عاد إليه خلال

الدقائق الأخيرة . قال « هذه الايقاعات ذات تردد من فئة ٣٠ ثانية ، و ٤٠٠ ميكروسون ، أما نسبة التضخيم فتصل إلى الف مرة .. اعترف أنني أضفت بعض الحيل الصوتية إلى هذا التسجيل ، وبرغم هذا فكم تبدو الاصوات اللطيفة على درجة كبيرة من البشاعة عند تضخيمها .. أراهن أنك لن تنجح في تخمين مصدر الأصوات التي تسمعها » .

مرت موجة جديدة من الأصوات غمرت ماكستيد . أفاقاً على وجه شرنجهام يملأ بصره ، بلحيته المتأرجحة وفمه الذي يبدو عندما يتكلم كالمغارة .

« ماكستيد .. بقي أن تخمن أصل الصوتين الباقيين .. بحق السماء ، ركز تحرك ماكستيد ببلادة . وقد أحس ببحيرة الزئبق التي في معدته باردة ، بلا قاع ، كما لو كانت بئراً عميقاً وسط المحيط . أحس بذراعيه وساقيه تتضخم ، كما لو كانت أطراف جثة عملاق متعفنة تطفو على سطح الماء ، وبصعوبة كان يتابع شرنجهام وهو يتراقص من حوله .

أخذ يستمع إلى صوت بحر متماوج ، يمتزج بإيقاع ملحّ كئيب ، وأحس بأمواج هذا البحر تتطاير منفجرة كحمم البراكين .

« أعترف لك يا ماكستيد .. لقد اقتضاني تسجيل هذا الصوت عاماً كاملاً » قالها شرنجهام وهو يضرب زجاجة الصودا بين ساقي ماكستيد « عاماً كاملاً .. هل تستطيع أن تدرك كيف يمكن للعام الكامل أن يبدو قبيحاً ؟ » صمت للحظة ثم انتزع نفسه من تيار الذكريات قائلاً « يوم السبت الماضي ، بعد منتصف الليل مباشرة ، كنت أنت وزوجتي سوزان تستلقيان على نفس هذا المقعد . أنت تعلم يا ماكستيد بلا ريب مدى انتشار

الأجهزة الصوتية في كل مكان في بيتي . ميكروفونات دقيقة دقيقة في حجم قلم الرصاص الصغير ، ذات بعد بؤرى يصل إلى ست بوصات . تحت المسند الذي تضع عليه رأسك ، يوجد أربعة منها » ، ثم أضاف كما لو كان يذكر ملاحظة جانبية « ما زلت أذكر نبضكما المتصاعد ، هو الذي أعطى التسجيل صوت الرعد » .

« ماكستيد .. بقي أن تخمن أصل الصوتين الباقيين ... بحق السماء ، ركز عقلك وفكر ! . » قالها صائحاً بقسوة ، وصوته بالرغم من ذلك يكاد يضيع وسط صوت الرعود القادمة من فوق ذلك البحر .. « هيا يا رجل ماذا حدث لك ؟ ماكستيد ! »

قفز شرنجهام إلى أقرب مكبر صوت ، ورفعه إلى أقصى طاقته ، فدوى الصوت عنيفاً في أنحاء الساحة .

كان ماكستيد قد أوشك أن يفقد وعيه ، أحس بنفسه يتحول إلى مجرد جزيرة صغيرة لا شكل لها ، تكاد أن تغرقها تلك الأمواج التي تلطمها بصفة مستمرة من كل جانب .

ركع شرنجهام على ركبتيه إلى جانب ماكستيد وصاح في أذنه بمرارة وحقد « ماكستيد .. هل تسمع صوت البحر ؟ .. هل تعلم إلى أين يقذف بك ؟ .. »

هنا .. استجدت أصوات جديدة ، موجات عملاقة رخوة متتابعة ، تضرب بمزيد من العنف ، ويتناثر رشاشها ليحتوي كل شيء في شراسة .

صاح شرنجهام بأعلى صوته « إنها قبلة ! قبلة بينك وبين سوزان ! .. »

وغرقت الجزيرة منزلقة إلى قاع محيط بعيد الأغوار .

محنة النجم الأسود

سيدي الرئيس .. السادة أعضاء الوفود الفضائية ، انه لمن دواعي فخري ، وفي نفس الوقت من أسباب إحساسي العميق بالمسؤولية ، أن أتوجه اليكم في هذه اللحظات الحرجة من تاريخنا ..

وأنا على يقين ، من أن أغلبكم قد صدمته الأقوال التي تناثرت حول الأزمة التي نجتازها هذه الأيام .. بل وأجدني متفهماً لدوافع هذه الصدمة . ولكن أناشدكم جميعاً ، أن تتجاوزوا كل حساسيات ما قيل أو تردد ، في هذا الوقت الذي يتعرض فيه جنسنا البشري للفناء .. بل وتنتظر الأرض التي نعيش عليها مصيرها المخيف ..

لقد صادفتني منذ أيام عبارة شاعت منذ قرن من الزمان .. عبارة تتحدث عن التفكير في غير المعقول ، أيها السادة هذا هو بالضبط ما نحتاجه في محنتنا الحالية ، علينا أن نواجه الحقائق بشجاعة وبلا مواربة .. علينا أن نمنع عواطفنا من أن تجتاح منطقنا . في واقع الأمر علينا أن نحرص على العكس .. يجب أن نتيح للمنطق أن يُزيح جانباً كل ما تسوقنا إليه عواطفنا .

قد يبدو الموقف باعثاً على اليأس ، غير أن بصيصاً من الأمل يتراءى لي ، والفضل في هذا يعود إلى الاكتشافات المدهشة التي وصل إليها زملائي الباحثين في محطة أنتيجين للأبحاث . تحت يدي أيها السادة مجموعة من

التقارير الثابتة ، تؤكد قدرتنا على الاتصال بالحضارات العليا عند مركز مجرتنا . يمكننا على الأقل أن نشعرها بوجودنا . فإذا وصلنا إلى هذا ، أمكننا أن نسعى إلى طلب النجدة السريعة .

وتأكدوا أيها السادة ، من عجزنا الكامل المطبق عن اتخاذ خطوات لانقاذ الموقف ، نعتمد فيها على أنفسنا . فلقد مضت عشر سنوات فقط منذ أن توصلنا إلى اكتشاف مجموعة الكواكب عبر البلاتونية ، والذي أوصلنا إلى تحديد موقع ومسار النجم الأسود .

وحساباتنا تقول إنه بعد تسعين سنة من الآن ، يصل النجم الأسود إلى حظيرة الشمس ، أو أقرب وضع له بالنسبة للشمس ، فيدور حولها وهو في طريقه إلى أعماق الفضاء ، تاركاً خلفه أشلاء نظام شمسي ! .. نظامنا الشمسي !! ...

جميع مواردنا ، وأبعد أحلامنا تبجّحا حول قدرتنا على التحكّم في القوى الطبيعية ، لن تسمح لنا بتغيير مسار النجم الأسود لمجرد جزء من السنتيمتر .

ومع هذا ، فمنذ أن اكتشفنا ما يسمى بمجموعة النجوم الهادية في نهاية القرن العشرين ، تأكدنا من وجود حضارات تمتلك فائضاً من منابع الطاقة لا يمكن أن يقارن بما لدينا . ولا شك أن بعضكم يذكر شكوك رجال الفلك – ومن خلفهم الجنس البشري بأكمله – عندما تم كشف المجال الأول للهندسة الكونية في السحب الماجلانية .

عندما اكتشفت الإنشاءات النجمية التي لا تخضع لأي قانون طبيعي .. والتي لم نعرف حتى الآن هدفها .. لكننا ندرك جيداً ما تعنيه .. إننا أيها

السادة ، نعايش في كوننا هذا ، مخلوقات قادرة على التحكم في مسار النجوم . فإذا استقر رأيها على مساعدتنا ستكون مهمة تغيير مسار النجم الأسود بالنسبة لهم ، مجرد لهو أطفال وعبث صغار ! . هذا مع العلم بأن النجم الأسود يتجاوز حجمه ، لآلاف المرات ، حجـم أرضنـا ..

وأني على ثقة من أنكم تذكرون ذلك الجدل الذي أثير في أعقاب اكتشاف الحضارات العليا . هل يحسن أن نتصل بها ، أم انه من الأفضل أن نختفي من وجهها ؟ فقد كان هناك بلا ريب احتمال انهم يعرفون كل شيء عنا بالفعل ، وأنه قد تستفزهم أية خطوة من جانبنا ، أو أنهم قد يستجيبون بعدد من الاستجابات غير السارة بالنسبة لنا . وقد توقفنا عن محاولة الاتصال بهذه الحضارات بالرغم من المكاسب التي لا يمكن تصورها ، والتي سنجنيها من ذلك الاتصال ، فالمخاطرة كانت كبيرة ومخيفة . أما الآن .. فلم يعد لدينا ما نخسره .. وبقيت لدينا احتمالات الكسب الواسعة .

وحتى الآن كانت تواجهنا حقيقة أخرى تجعل من المسألة مجرد اهتمام فلسفي بعيد التحقيق .

فبالرغم من اننا نستطيع بتكاليف باهظة جداً - أن نبني جهاز إرسال لاسلكي قادر على توصيل إشارتنا إلى تلك المخلوقات ، إلا أن أقرب حضارة عليا منا ، تبعد عنا بحوالي سبعة آلاف سنة ضوئية . ومن الواضح أن مثل هذه الاستجابة من المخلوقات الراقية لن تكون بعد هذا الزمن الطويل ذات نفع أو ضرر لنا .

إلا أن هذه الصورة قد تغيرت الآن . لقد أصبح في استطاعتنا أن نرسل اشارتنا إلى النجوم بسرعة لا يمكن قياسها ، سرعة يمكن أن نصفها بأنها

لا نهائية . ونحن نعلم بالفعل أن تلك المخلوقات الراقية تستعمل مثل هذه الأساليب في الاتصال . لقد توصلنا إلى استقبال نبضاتهم وإن كنا لم نصل بعد إلى طريقة التعامل مع هذه النبضات .

المهم في الموضوع ، أن تلك النبضات ليست ذات طبيعة كهرومغناطيسية ونحن حتى الآن لم نستطع الوصول إلى كنه هذه النبضات ، إننا لم نصل بعد حتى إلى الاتفاق على اسم نطلقه عليها .. أو ربما ، على العكس ، أطلقنا العديد من الأسماء على تلك النبضات .

نعم أيها السادة ، دعونا نعترف بهذا .. ان أحاديث العجائز من النساء حول التخاطر أو الاتصال المباشر بين البشر الذين لا يجمعهم مكان واحد .. هذه الأحاديث التي كنا ننظر إليها باعتبارها خرافات وأباطيل ، أصبح علينا أن ننظر إليها اليوم بكل جدية واحترام .. علينا أن نفتح أعيننا على الظواهر الحسية غير العادية التي اعتدنا أن نطلق عليها ظواهر ما وراء الطبيعة .

وليس غريباً أن يحظى مثل هذا الموضوع بأقل اهتمام من الدارسين والباحثين على سطح أرضنا ، كما انه ليس غريباً أن نحظى بأقل قدر من النتائج حول هذا الموضوع ، وسط ضجيج وصخب بلايين العقول التي تشوش على الإشارات وتطمس معالمها . والمعلومات الشديدة الضآلة التي أمكننا أن نصل إليها قبيل عصر الفضاء حول هذه الظواهر تصل في قيمتها إلى مستوى المعجزة .. تماماً كما لو كنا على اكتشاف قوانين الموسيقى في ورشة لصناعة الأوعية المعدنية ! .. لم يكن ممكناً أن نأمل في الوصول إلى مبادئ راسخة لعلم الباراسيكولوجي . قبل أن نتمكن من الابتعاد عن كوكبنا بكل ما يسوده من تشويش عقلي .

بل اننا لم نستطع البدء في دراسة هذه الظواهر إلا بعد أن تحركنا إلى الجانب الآخر من مسار الأرض . حيث اختفى ضجيج الأرض ، ليس فقط بحكم المسافة التي تبلغ ٨٠ مليون ميل ، ولكن بسبب حماية الشمس التي تحجب بجرمها الكبير كل ما يصل إلى الأرض . هناك فقط ، فوق كوكبنا الصناعي (أنتيجوس) ، أمكننا أن نقيس ونحدد إشعاعاتنا العقلية الضعيفة ، ونكتشف القوانين التي تحكم هذه الإشعاعات .

ومع هذا .. فما زالت هذه القوانين غامضة محيّرة ، رغم أننا وصلنا إلى حقائقها الأولى . وأهم ما وصلنا إليه ، وهو ما كانت تقول به القلة التي آمنت بهذه الظواهر ، ان الحالات الشعورية الخاصة هي التي تستثير تلك الظواهر وتدفع إلى حدوثها . وليست قوة الإرادة الخالصة ، أو الأفكار الواعية المركزة . ولعل في هذا تفسير لما كنا نلاحظه من حدوث هذه الظواهر مرتبطة بالموت أو المآسي العنيفة . الخوف ، هو من أقوى مولدات هذه الظواهر . وفي بعض الأحوال النادرة . استطاع صوت الخوف أن يرتفع على الضوضاء العقلية التي تسود العالم .

إذا اتفقنا على هذه الحقيقة ، يمكننا أن نتقدم خطوة أخرى إلى الأمام . وهذا هو ما حدث فعلاً . لقد توصلنا إلى خلق حالة شعورية صناعية عند بعض الأفراد في بداية الأمر . ثم عند مجموعة من البشر بعد ذلك . وقد أمكننا أن نقيس مدى تأثر قوة الإشارات ببعد المسافة بين عنصري الاتصال . وأصبح لدينا الآن نظرية كمية يمكن الاعتماد عليها في حدود المسافة بيننا وبين المريخ . كما يمكن أن نستنتج منها بعض الحسابات التي تفيد في اتصالنا بالنجوم .

إذا صدقت استنتاجاتنا أيها السادة ، يمكننا أن نطلق صرخة عالية ! .. تسمع في كل مكان من مجرّتنا في نفس لحظة إطلاقها .. ولا بد أننا واجدون من يجيب علينا .

والآن ليس أمامنا سوى طريق واحد لإطلاق الإشارة بالكثافة والقوة المطلوبة . لقد سبق أن أشرت إلى الخوف كمولد قوي لمثل هذه الإشارات إلا أن قوة الإشارات الصادرة عن الخوف لا تكفي في حالتنا هذه . فعلى فرض أننا نجحنا في إصابة البشرية كلها بلحظة رعب واحدة . فإن النبض الناتج لن يصل أثره إلى أبعد من مسافة ألفي سنة ضوئية . ونحن في حاجة إلى أربعة أضعاف هذه القوة .. ولا يمكننا أن نصل إلى هذه القوة إلا باستخدام العاطفة الوحيدة التي يتجاوز أثرها في قوته ، أثر الخوف . وفي كل الأحوال ، نحتاج إلى تعاون ما لا يقل عن بليون إنسان . في لحظة زمنية واحدة تحسب بأجزاء الثانية .

وقد استطاع زملائي أن يحلوا كافة المشاكل التكنيكية المتصلة بهذه العملية . وهي هيّنة إذا قيست بغيرها من المهام التي تنتظرنا . فجهاز الإثارة الكهربائي المطلوب ، جرى استخدامه بنجاح في الأبحاث الطبية منذ بدايات القرن العشرين .. واشارة توقيت النبضة يمكن ارسالها خلال أجهزة الاتصال الفضائية . وجميع وحدات الأجهزة المطلوبة لإصدار الصرخة التي تكلمت عنها يمكن تصنيعها خلال شهر واحد . أمّا طريقة استخدام هذه الأجهزة فلن يتجاوز زمن التدريب عليها أكثر من عدة دقائق . إنما تكمن المشكلة في الإعداد السيكولوجي لما يمكن أن نطلق عليه « يوم الصفر » .. فهو الذي سيقتضي الكثير من الجهد والوقت .

وهذه أيها السادة ، هي مشكلتكم .. ولا شك أننا - نحن العلماء - سنقدم كل معونة ممكنة . ونحن نعلم من الآن أننا سنواجه بصيحات الاحتجاج والغضب ورفض التعاون . ولكن إذا نظرنا إلى الموضوع بعين المنطق .. هل تبدو فكرتي مثيرة لمثل هذا الاعتراض ؟ .

إن البشرية جمعاء تواجه اليوم حالة طوارئ عظمى ، وفي مثل هذه اللحظات لن يكون غريباً أن نلوذ بالغريزة التي حفظت لنا حياتنا على مدى تاريخنا .. لقد قالها أحد الشعراء قديماً . في مواجهة احدى المحن التي صادفتها البشرية .. قالها بطريقة لا أعتقد أنني أستطيع التعبير بأفضل منها ... قال :

علينا أن نحبّ بعضنا البعض ... أو نموت !

عاشق الكهرباء

عندما كان السيد سكوت يعرض المنزل الريفي الذي يمتلكه على المستأجر الجديد السيد ليفريت ، كان يأمل ألا ينتبه المستأجر إلى وجود برج كهرباء الضغط العالي الذي تطل عليه نافذة حجرة النوم .. فقد كان ذلك البرج سبباً في تراجع أكثر من مستأجر طيب .. فالكثيرون من المسنين ما زالوا حتى يومنا هذا يخافون الكهرباء .. لم يكن هناك من سبيل إلى اخفاء ذلك البرج ، سوى بجذب نظر المستأجر بعيداً عنه .. كان البرج يحمل الأسلاك التي تمتد إلى قمة الجبل ليغذي أكثر من نصف روابي الباسفيك بالتيار الكهربائي .

لكن آمال وجهود السيد سكوت باءت بالفشل ، عندما نظر السيد ليفريت مباشرة إلى ساحة الدار حيث البرج ، وأخذت عينا الرجل المسنّ القادم من نيو إنجلند تحدقان في البرج بما يحمله من عوازل زجاجية يبلغ قطر الواحد منها ١٨ بوصة ، وصندوق المحول المثبتّ عليه ، والذي يخفّض قوة التيار الذي يصل إلى المنزل الريفي والمنازل الأخرى القريبة منه ، والمقامة حديثاً في السهل . ثم تركزت نظراته على الأسلاك السميكة الثقيلة التي تتأرجح متوازية ، وتمتد عبر التلال الخضراء . ثم أمال رأسه ، لتلتقط أذناه الصوت المنخفض ، ولكن المتصل ، والذي يشبه صوت القلي في

الزيت ، متراوحاً بين الأزيز والطقطقة ، نتيجة لانفلات الإلكترونات أسلاك الكهرباء إلى الهواء حولها .

«أتسمع هذا ؟!» قالها السيد ليفريت بصوته الجاف الذي يعكس الإثارة لأول مرة منذ أن بدأ جولته ليتفقد البيت . ثم استطرد «خمسون ألف فولت ! .. طاقة الطاقات ! .. » قال السيد سكوت في محاولة للتخفيف «لا بد أن الظروف الجوية اليوم غير عادية .. فعادة لا نسمع هذه الأصوات فقال السيد ليفريت بصوت يكشف عن استيائه «حقاً ؟ ! .. لا أظن ذلك .. » وبخبرة سكوت التجارية ، رأى أن أفضل ما يقوم به هو تغيير الموضوع الحرج ، فقال «عندما جرى تقسيم أرض روابي الباسفيك .. اشترى صاحب بيك هاوس معظم الأراضي التي ... » لكن السيد ليفريت لم يكن يستمع إلى كلماته ..

عند انتهاء الجولة ، أصر السيد ليفريت على العودة إلى الساحة حيث برج الكهرباء ، ثم وقف إلى جوار البرج صامتاً ، وقال «ما زال الصوت مستمراً .. هل تعلم يا سيد سكوت ؟ .. أنني أجد في هذا الأزيز راحة عجيبة .. كما في صوت الرياح أو الأمواج .. فأنا أكره صوت الآلات ، ولعل هذا هو السبب الذي دفعني إلى الانتقال من نيو إنجلند .. » ثم استدار ليواجه سكوت سائلاً «أتقول إن هذا الصوت موقت وعارض ؟! .. » أجاب سكوت بمرونة التاجر «الحقيقة يا سيد ليفريت .. لم يحدث لي من قبل أن وقفت في هذه الساحة ، دون أن يصلني هذا الصوت .. يجيء ناعماً بعض الأوقات ، عالياً في أوقات أخرى .. لكنه لا يتوقف . لقد حاولت أن أخفي عنك هذه الحقيقة .. فكثير من الناس لا يحبّون هذا الصوت .. »

قال ليفريت : «لا لوم عليك فأغلب الناس حمقى ومجانين .. مستر سكوت .. هل وصل إلى علمك أن أحداً من الجيران يعتنق الشيوعية ؟»
أجاب سكوت بحسم وقوة : «لا يا سيدي .. لن تعثر على شيوعي واحد في كل روابي الباسفيك ..» ، قاطعه ليفريت قائلاً : «أصدقك .. أما الساحل الشرقي فهو غاص بهم .. مستر سكوت اعتبرني مستأجراً للمنزل لمدة عام ، وبالرقم الذي حددته لي ..»
مد سكوت يده مصافحاً وهو يقول : «مستر ليفريت .. أنت طراز الآدمي الذي تحتاجه روابي الباسفيك ! »
تصافحت الأيدي ، بينما ابتسم ليفريت ، وهو يستمع بسعادة إلى الطرقعة الرقيقة التي تنبعث من الأسلاك ، وقال «هذه الكهرباء أمر مدهش . لا نهاية للألاعيب التي تقوم بها .. أو يمكن القيام بها اعتماداً عليها .. على سبيل المثال .. إذا أراد الشخص أن يقلع إلى عالم آخر في لحظة واحدة .. ليس عليه سوى أن يغرق الساحة بالماء ، ويتناول سلكاً نحاسياً طوله حوالي خمسة وعشرين قدماً بيديه العاريتين ، ثم يطوح الطرف الآخر فوق هذه الأسلاك .. هوب ! ينتهي كل شيء !!»
انتاب السيد سكوت ، لدى سماعه هذا ، شعور قوي بالندم ، عندما تذكر أنه قد أعطى كلمته لهذا المستأجر الغريب . فقد تذكر قصة السيدة ذات الشعر الرمادي التي استأجرت شقة في عمارته ، بحثاً عن مكان هادئ تتناول فيه جرعة كبيرة من الحبوب المنومة .. لتنتحر ! .. وهذا السيد ليفريت بكلماته هذه ، وبحبه الجنوني للكهرباء ، وكراهيته للشيوعية وصوت الآلات ، يعتبر نموذجاً للمهووسين والمجانين الذين ينزحون إلى

الأماكن النائية لممارسة هوسهم .

قال السيد ليفريت متخابثاً ، «لا شك أنك تعاني الآن من القلق .. أليس كذلك ؟ .. تظن انني قد أرغب في الانتحار ! .. لا تقلق يا سيدي .. لقد اعتدت فقط أن أفكر بصوت مرتفع .. وأنطق أفكاري مهما بدت غريبة ..» استراحت نفس السيد سكوت لهذه الكلمات ، فدعا السيد ليفريت إلى مكتبه لتوقيع العقد .

* * *

بعد ثلاثة أيام ، مر السيد سكوت على البيت الريفي ليرى كيف يمضي الحال بالمستأجر الجديد ، فوجده يجلس صامتاً في الساحة على كرسي هزاز ، تحت برج الكهرباء مباشرة ينصت باستمتاع إلى صوت الأزيز . وعندما لمحه قادماً قال بصوت مرتفع « تناول مقعداً واجلس .. » مشيراً إلى أحد المقاعد الحديثة الموجودة بالساحة ، ثم استطرد « أريد أن أخبرك يا سيد سكوت انني أجد في هذا البيت الريفي ، المقام المريح الذي كنت أسعى إليه .. أستمتع بصوت الكهرباء ، وأترك أفكاري تتداعى ... في بعض الأحيان أسمع أصواتاً صادرة عن الكهرباء .. الأسلاك تتكلم .. ألم يصلك نبأ الذين يستمعون إلى حوار في صفير الرياح ؟ .. » .

قال سكوت وهو يتململ في مقعده « نعم .. سمعت عنهم .. » ، ثم تذكر أنه قد تسلم شيك السيد ليفريت عن إيجار الربع الأول من السنة ، فتشجع قائلاً لكن صفير الريح يتباين كثيراً .. أما هذا الأزيز فيبدو رتيباً ، لا يمكن أن يتبين فيه المرء أصواتاً .. » تقلصت عضلات وجه السيد ليفريت ، مما كشف أهمية الموضوع لديه ، وقال بحماس .. « هراء ..

فالنمل وهو من الحشرات الراقية الذكاء ، يجزم العلماء المتخصصون أنه يستخدم لغة كاملة في التفاهم ، ومع هذا فهو لا يصدر سوى الأزيز .. أنا شخصياً أسمع أصواتاً في أزيز الكهرباء .. » ثم راح يهتز فوق كرسيه صامتاً والسيد سكوت يجلس جامداً في مواجهته .

أخيراً قال ليفريت بصوت حالم «الكهرباء تتحدث إليّ .. وتحكي لي كيف تنساب عبر الولايات الأمريكية المختلفة عن طريق خطوط الطاقة الكندية إلى منازلنا ، إلى كل حجرة من حجرات المنزل .. إنها تمضي إلى كل مكان في هذه الأيام .. تمضي إلى مكاتبنا .. إلى مبانينا الحكومية .. إلى مراكز القيادة العسكرية .. الذي يثير عجبي أنها أيضاً تستمع إلى مكالماتنا التليفونية عن طريق تيارها الضعيف المستخدم في نظام التليفونات .. ان كهرباء التليفون هي الشقيقة الصغرى للتيار الكهربائي ، التي تتميز باذانها الكبيرة .. وإذا كنا ننظر إلى الكهرباء باعتبارها قوة ميكانيكية باردة ، فهي ليست كذلك أبداً .. انها تتمتع بدفء وتبقى حية وحساسة .. يكمن الود في أعماقها .. تماماً كما في جميع الكائنات الحية .. »

كان السيد سكوت يستمع إلى هذه الكلمات ، حالماً بعض الشيء ، مفكراً في مدى الشاعرية الذي يمكن أن تكون عليه نشرة دعائية تحمل هذه الكلمات ، وقطعت عليه حبل أفكاره ، كلمات السيد ليفريت وهو يقول « والكهرباء أيضاً .. تعتمل في داخلها بعض عوامل الشر .. لذا يكون من واجبنا أن نستأنسها .. أن نعرف مسالكها ، وأن نتحدث إليها بأمانة ، ولا نبدي خوفاً منها .. باختصار أن نتخذ منها صديقاً .. » ، ثم قال بصوت نشيط وهو ينهض من مقعده الهزاز «والآن يا سكوت .. أعلم أنك جئت

لتطمئن على طريقة استخدامي للبيت .. فهيا بنا نقوم بجولة في أنحاء البيت ..»

رغم احتجاج سكوت ورفضه هذه الجولة ، إلا انه اضطر للاستجابة أمام الحاح السيد ليفريت . عندما أصبحا في حجرة النوم قال ليفريت «لقد أبعدت جانبا البطانية الكهربائية وجهاز تحميص الخبز الكهربائي .. لا أرى عدلاً في استخدام الكهرباء هذا الاستخدام المنزلي الرخيص !» وقد لاحظ السيد سكوت أن المستأجر الجديد لم يضف إلى أثاث البيت سوى ذلك الكرسي الهزاز الذي يجلس عليه في الساحة ، ومجموعة كبيرة من رؤوس السهام الهندية ..

* * *

لا بد أن السيد سكوت قد تحدث عن هذا عند عودته إلى منزله . ذلك أنه بعد أسبوع من هذا اللقاء ، جاءه ابنه الصغير الذي يبلغ التاسعة من عمره وقال له «هاي بابا .. هل تعرف ذلك الرجل العجوز الذي نجحت في إيداعه البيت الريفي ؟ .. » قاطعه سكوت قائلاً «أجّـرت له البيت الريفي .. هذا هو التعبير اللائق يا بوب ..» ، استطرد بوب قائلاً «طيب .. لقد زرته لأرى رؤوس السهام التي لديه يا أبي .. فاكتشفت أنه حاوي ثعابين ! ! ..»

خفق قلب سكوت فزعاً وهو يفكر ... يا إلهي .. كنت أظن أنني سأكتشف شيئاً شاذاً حول ليفريت هذا .. لا شك أنه اختار السكن في هذه المنطقة العالية ، لأن الثعابين تنجذب إليها في الطقس الحار ! .. أيقظه من أفكاره هذه صوت ابنه يقول «إنه لا يسحر ثعابين حقيقية .. بل مجرد وصلة كهربائية قديمة ... بعد أن أطلعني على مجموعة رؤوس

السهام ، جلس القرفصاء على الأرض ، وحرك يديه إلى الأمام وإلى الخلف فوق وصلة السلك الكهربائية .. وما لبث طرف السلك الذي يتصل بالصندوق الصغير أن تحرك جيئة وذهاباً على الأرض ، وفجأة ! ارتفع في الهواء ، كما يرتفع ثعبان الكوبرا من السلة .. كان عرضاً مدهشاً ! ! .. »

قال سكوت لابنه بوب « لقد شاهدت الكثير من مثل هذه الحيل .. لا بد أن الصندوق كان يتصل بخيط دقيق يتصل بيد الرجل .. يجذبه ليتحرك الصندوق .. » قال بوب محتجاً « لكني واثق يا أبي أنني لم أر خيطاً .. » قال سكوت مفسراً « طبعاً .. خاصة إذا كان الخيط له نفس لون الخلفية .. » ثم خطرت لسكوت فكرة ، فسأل ابنه « بالمناسبة يا بوب .. هل كان الطرف الآخر للسلك يتصل بالتيار الكهربائي ؟ » قال بوب « طبعاً .. طبعاً .. لقد قال إنه لا يستطيع أن يقوم بهذا العرض إذا لم يكن التيار الكهربائي ماراً في السلك .. انه يا أبي يسحر بالكهرباء .. لقد قلت إنه ساحر ثعابين حتى أجعل وصفي أكثر إثارة . بعد هذا خرجنا إلى الساحة ، ورأيته يسحر الكهرباء في الأسلاك المعلّقة ، ثم يجعلها تلتفّ حول جسده .. لقد كنت أراها وهي تلتف من جانب إلى آخر ! ! .. » .

قال السيد سكوت وهو يجاهد أن يحتفظ بصوته هادئ النبرة « ولكن .. كيف أمكنك أن ترى ذلك ؟ » ، ضحك بوب وهو يقول « تصور يا أبي كانت الكهرباء تجعل شعره يقف إلى أعلى .. ثم يميل إلى أحد جانبي رأسه ، ثم يعود ليميل إلى الجانب الآخر .. وعندما قال لي ان الكهرباء الآن تنتقل إلى صدري .. رأيت طرف المنديل الحريري الذي يخرج من جيب سترته العلوي يتأرجح .. كم استمتعت بذلك يا أبي .. أكثر من

متعتي يوم زرت معك متحف العلوم والصناعات .. » .

في اليوم التالي ، توجه إلى البيت الريفي ، وقبل أن يلقي بأسئلته التي كان قد أعدها إعداداً دقيقاً ، عاجله ليفريت قائلاً « أعتقد أن ابنك قد أخبرك عن العرض السحري الصغير الذي قدمته له بالأمس .. أنا أحب الأطفال .. أبناء الجمهورية الأمريكية الأنقياء ، مثل ابنك يا سيد سكوت .. » فقال سكوت متلعثماً « فعلاً .. لقد روى لي .. » فقاطعه ليفريت قائلاً « لقد عرضت عليه أبسط الحيل بالطبع .. مما يليق بالصغار .. » قال سكوت : « طبعاً .. وأظن أنك استخدمت خيطاً دقيقاً خافياً في حالة السلك الراقص .. » لمعت عينا ليفريت ، وعوضاً عن الإجابة عن السؤال قال : « تعال يا سكوت لنجلس قليلاً في الساحة .. » .

كان الأزيز مرتفعاً في ذلك اليوم .. ومع هذا فلم يجد السيد سكوت مناصاً من أن يعترف بينه وبين نفسه أن ذلك الصوت كان مريحاً بشكل ما .. واستطاع أن يميز تنوعاً واضحاً في الصوت .. طرقعات متصاعدة همهمات ، طقطقات ، تنهدات ! . وسمع صوت ليفريت الذي كان يهتز فوق مقعده الهزاز .. « الكهرباء تخبرني عن كل الأعمال التي تقوم بها .. كل أنواع الترفيه التي تمارسها .. الرقصات والأغاني ، كونشرتات فوق الطقطقة ، رحلاتها إلى النجوم ، مسابقاتها العنيفة التي تبدو حركة الصواريخ الفضائية إلى جوارها كزحف الثعابين البطيء .. تحكي لي أيضاً عن همومها . أنت تذكر ولا شك انقطاع الكهرباء عن نيويورك .. لقد أخبرتني الكهرباء بالسبب .. لقد أصيب بعض أفراد عائلة الكهرباء بالجنون ، من فرط الاجهاد الشديد على ما أظن ، فجمدت حركتهم .. مما اقتضى سرعة ايفاد

أعضاء جدد من العائلة ودفعهم في شبكة الأسلاك النحاسية الواسعة إلى حين علاج الآخرين من الانهيار العصبي الذي أصيبوا به .. لقد حدثتني الكهرباء عن مخاوفها من أن يتكرر هذا في شيكاغو وسان فرانسيسكو .. الضغط هناك يتجاوز القدرة والاحتمال !! .. » .

بقي سكوت صامتاً . بينما استطرد ليفريت « ان الكهرباء لا تمانع مطلقاً في العمل من أجلنا .. انها تتميز بالقلب الكبير وبحبها لعملها .. لكنها ستكون ممتنة كثيراً ، لو حظيت بشيء ولو قليل من التقدير .. قليل من الاعتبار لمشاكلها الخاصة .. فأمامها صراع . صراع مع اشقاء لها يتصفون بالبربرية والهمجية .. تلك الكهرباء المتوحشة التي تظهر شراستها في العواصف والصواعق .. والتي تنقض على الأرض لتصطاد وتقتل .. وهي إذا كانت اليوم لا تصل إلى التحضر الذي تتميز به الكهرباء التي تسري في أسلاكنا ، إلا أنها ستصير كذلك ذات يوم .. فالكهرباء المتحضرة يا سيد سكوت هي المعلم الأعظم .. تعطينا الدروس عن كيفية العيش في نقاء واتحاد وحب أخوي .. تخدم الجميع بلا تفرقة .. وهي أيضاً وطنية مخلصة .. لا تكشف أسرارها العظمى ، إلا لمواطنين أمريكيين حقيقيين .. من أمثال أديسون وفرانكلين .. هل تعلم أنها قتلت ذلك السويدي الذي حاول اصطيادها بطائرة الأطفال الورقية ؟؟! .. نعم ، الكهرباء هي القوة العظمى الخيّرة في الولايات المتحدة الأمريكية .. » .

كان سكوت يستمع إلى هذا الحديث الطويل ، وقد غلبه النعاس ، يتصور السيد ليفريت داعية مقدساً لعبادة الكهرباء ، وقد توافد عليه الأتباع من كل مكان ، يسعون إلى « كريشنا ليفريت » وهو يقيم مراسمه العجيبة ،

التي يقدم فيها القرابين إلى الكهرباء .. وعندما انصرف هابطاً إلى بيته ، أخذ في تحذير بوب من الذهاب إلى البيت الريفي وازعاج السيد ليفريت .

* * *

لكن ذلك التحذير لم يكن ينسحب عليه هو بالطبع .. فقد اعتاد السيد سكوت خلال الأشهر التالية ، أن يمر على البيت الريفي بين حين وآخر ، ليحظى بجرعات جديدة من [الحكمة الكهربائية] . كان من الواضح أن السيد ليفريت لم يكن يفعل أكثر من الجلوس على كرسيه الهزاز في الساحة عند برج الكهرباء .. سعيداً وقوراً .. مرة واحدة أثارت كلمات السيد ليفريت مخاوف سكوت من جديد ، عندما عاد إلى الحديث الذي دار بينهما في أول يوم جاء فيه ليمريت لاستئجار البيت ، فقد قال ليفريت «هل تذكر ما قلته لك ذات مرة ، عن القاء طرف السلك النحاسي الذي نمسك به على أسلاك الضغط العالي هذه ؟ .. لقد فكرت في طريقة أكثر فاعلية . ذلك بان أوجه الخرطوم الذي يتدفق منه الماء بشدة إلى الأسلاك . ممسكاً بالمقدمة النحاسية للخرطوم . بالطبع يفضل هنا أن يكون الماء ساخناً ، وأن تكون قد القيت فيه محتويات علبة ملح طعام كاملة قبل هذا ..» عندما استمع سكوت إلى هذه الكلمات سعد بأنه كان قد حذر بوب من المجيء إلى هذا المكان ..

جاءت المفاجأة التالية في الزيارة التي بعدها ، عندما قال ليفريت وقد ارتسمت علامات الجد على وجهه «بالمناسبة .. لقد علمت أن طاقة الكهرباء الأمريكية تتسرب هذه الأيام إلى باقي أنحاء العالم .. ومعبأة في بطاريات ومكثفات أمريكية . بل ان بعضها يتسرب داخل الحدود السوفيتية .. اعتقد

انها تلعب دوراً وطنياً في التجسس على الشيوعيين .. إنها وحدات جيش الحرية الكهربائي ! ..»

في الزيارة التي تلت ذلك لمس السيد سكوت ذلك التغيير الواضح الذي طرأ على السيد ليفريت .. فهو لم يعد يجلس على كرسيه الهزاز ، وأصبح يذرع الساحة من جانب إلى آخر ، بعيداً عن برج الكهرباء .. وإن كان يلقي عليه بين الحين والآخر نظرات خاطفة من وراء ظهره .. وكان مزيج الخوف والعتاب والترقب الذي يتلاعب على ملامحه مثيراً للضحك .

قال بصوت مهموم « أنا سعيد برؤيتك يا سيد سكوت .. لقد صدقت حقاً .. ولا بد من نقل معلوماتي إلى شخص آخر ، حتى إذا حدث لي ما لا يسر ، يمكنه أن يتولى نقل هذه المعلومات إلى سلطات الأمن الفيدرالية .. ولو أنني لا أعلم ما الذي سيكون بإمكانهم أن يصنعوا ! . لقد أخبرتني الكهرباء هذا الصباح انها قد انتهت لتوها من تشكيل حكومة عالمية ! ! .. تصور لقد وجدت لديها الجرأة لتقول لي مثل هذا الكلام ! . قالت إن الكهرباء الروسية أصبحت تجري في أسلاكنا ، وأن الكهرباء الأمريكية تسري في أسلاك السوفييت . انها تنتقل من هنا إلى هناك بلا حياء ! ..

لقد اكتشفت انها لا تحمل أي اختلاف في مشاعرها نحو الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي ! ! .. انها لا تفكر إلا في نفسها ! ..»

صمت ليفريت وقد تشنّج وجهه بالألم ، ثم استطرد «الأكثر من هذا .. لقد قررت الكهرباء أن توقف أي حرب كبرى قادمة ، أياً كانت عدالة تلك الحرب ، ومهما كانت في صالح أمريكا .. انها لا تبدي أدنى اهتمام بذلك .. انها الآن تحرص فقط على مصادرها ، وتسعى جادة لحماية هذه

المصادر من التخريب والدمار .. لقد افهمتني الكهرباء أنه عند الضغط على المفاتيح التي تطلق الصواريخ الذرية ، هنا .. وفي روسيا ، ستعمل على تفجير هذه الصواريخ فيمن يطلقها ! .. لقد رجوت الكهرباء ضارعاً .. وقلت لها إني تصورتها دائماً أمريكية مخلصة صادقة .. ورحت أذكرها بإديسون وفرانكلين طالبتها أن تعيد النظر في موقفها وتتصرف بشكل أمين ، لكنها لم تفعل أكثر من أن ضحكت مني ساخرة ! ! » .

ابتلع ليفريت ريقه ، وقد ظهر الفزع على وجهه وهو يقول «ثم .. ثم هددتني ! .. قالت إنها في حالة تدخلي لايقاف مسيرتها ، وكشف خطتها ، ستستدعي شقيقها المتوحش من أعلى الجبال ، وتساعده على قتلي .. سيد سكوت ، ها أنذا وحيد هنا مع هذه الكهرباء التي تطل على حجرة نومي .. ماذا أفعل ؟! »

وجد السيد سكوت صعوبة كبيرة في تهدئة السيد ليفريت ، والانصراف من محضره . ولم يفلح في الفكاك منه إلا بعد أن وعده بالعودة في الصباح الباكر للاطمئنان عليه .. ولو أنه قال لنفسه وهو يمضي .. سأكون مجنوناً لو فعلت ذلك ! .

في تلك الليلة ، سادت لوس انجيلوس واحدة من العواصف الرعدية النادرة ، تصحبها عواصف الرياح والأمطار المتدفقة كالسيول . اقتلعت العاصفة الأشجار الضخمة ، وشققت الشوارع . كان البرق يلمع بشكل ملموس . وقد تلقت جهات الأمن أكثر من مكالمة ، يؤكد فيها أصحابها اقتناعهم بأن ما يجري هو هجوم ذري شامل ! ..

وقعت العديد من الحوادث نتيجة لهذه العاصفة العاتية . كان من بينها ما

جرى إخطار السيد سكوت به في صباح اليوم التالي ، على يد الشرطة .

لم يكن السيد سكوت قد عرف النوم في تلك الليلة ، استيقظ عند اشتداد العاصفة ، منزعجاً من هدير الرعد ، والومضات القوية الخاطفة للبرق . في ذلك الوقت تذكر ما قاله السيد ليفريت ، حول تهديد الكهرباء له ، بأنها ستسوق شقيقها المارد المفترس من أعلى الجبل .. لكنه الآن ، وبعد أن نقلت الشرطة ما نقلت من أنباء ، لن يشير إلى هذا الموضوع .

عندما ذهب السيد سكوت مع الشرطة إلى البيت الريفي ، شاهد نتائج الحادث الغريب قبل أن يجري تحريك أي شيء .. والشيء الوحيد الذي استجد كان قطع التيار الكهربائي عن الأسلاك الثقيلة التي كانت تحمل تيار الجهد العالي ، والتي كانت تلتف حول ساقي ليفريت ، وقد ظهرت آثار الاحتراق البنية والسوداء على منامته التي كان يرتديها .

لقد وصف رجال الشرطة ، بالاشتراك مع رجال الطاقةالكهربائية الحادث كما يلي .. في قمة العاصفة ، انقطع أحد أسلاك الجهد العالي على بعد مائة قدم من البيت ، واندفعت النهاية القريبة للسلك بسبب الرياح ، وبتأثير الطاقة الكهربية التي تحملها ، ليس فقط من خلال نافذة حجرة النوم ، بل ومن خلال باب حجرة النوم ، لتلحق بالرجل العجوز وهو يهرب من حجرة النوم إلى الصالة . كما وجد أن أسلاك التليفون قد التفت مرتين حول ذراع الرجل الأيمن ، كما لو كانت تمسك به حتى تمنعه من الهرب إلى ما هو أبعد من ذلك ، حتى يلحق به السلك الكهربائي الضخم ويصعقه !

لمن الأطلال

كانت الحرارة العالية للنجم الأصفر تلفح أجساد المجموعة التي احتشدت فوق الكوكب «تورانج» تستعرض من أعلى السد ما تم إنجازه من عمل . قال جيف أوتيس «صدقني يا فنشلي .. هذا عمل عظيم» . هز فنشلي رأسه دون أن يتكلم ، فعاد أوتيس ليقول «لقد أنجزت عملاً رائعاً في كل ما يتصل بالمحطة الهيدروكهربية .. فمتى تصحبني إلى العاصمة التي يجري تشييدها ؟» قال فنشلي «بإمكاننا أن نطير إليها الآن .. . لقد انتهينا من إنشاء حدودها المؤقتة ، قريباً من أطلال المدينة القديمة التي شاهدناها من الطائرة العمودية» .

قال أوتيس «عندما طرنا فوقها ، بدت شبيهة بالأطلال التي رأيتها على بعض الكواكب الأخرى» ، ضغط فنشلي شفتيه في صبر ، فلاحظ أوتيس هذه الحركة ، وأدرك أنه يحاول أن يكون مجاملاً واسع الصدر مع المشرف العام الذي جاء من الأرض ، والذي سيتولى كتابة التقرير الشامل عن سير العمل .. لقد كان واضحاً أن فنشلي يود أن تنتهي هذه الزيارة بأسرع ما يمكن حتى يتفرغ للأعمال العديدة التي يقتضيها إنشاء المستعمرة الأرضية على هذا الكوكب .

لم يستطع أوتيس بينه وبين نفسه أن يلوم فنشلي على هذا الشعور . فهذا

هو الكوكب الخامس الذي يصل إليه أهل الأرض في اكتشافهم الدائب لأغوار الفضاء ، وهناك المزيد من المسؤوليات ، تنتظر رجلاً مثل فنشلي ، نال على أعماله السابقة أعلى تقدير من المسؤولين . قال أوتيس وهو يعود إلى الموضوع « يمكنك أن ترى معي هذا الشبه ، عندما أعرض عليك بعض الصور التي التقطت لأطلال الكواكب الأخرى .. ولكن .. ما هـذه الأصوات ؟! » أجاب أحد المهندسين العاملين مع فنشلي « اصطياد القرود على الأغلب » . سأل أوتيس مندهشاً « قرود ؟ .. » ، فتدارك فنشلي قائلاً « ليس بالضبط .. انها التسمية التي نطلقها على التورانجيين ، الذين يعيشون على هذا الكوكب .. انهم أشبه بالقرود الضخمة الرمادية » . وسمع أوتيس ثلاث طلقات ثم ساد السكون .

* * *

صعد أوتيس مع فنشلي إلى الطائرة العمودية التي كانت في انتظارهما ، وعندما حلقت الطائرة فوق الموقع المختار للعاصمة الجديدة للكوكب ، شاهد أوتيس هيكل تخطيط المدينة ، وقد تميزت طرقها بعد أن مهدتها الجرافات الضخمة ، فأبدى اعجابه باختيار الموقع على امتداد الخليج الذي يطل على البحر ، حيث تصب مياه النهر الذي يجري بناء السد لتخزين مياهه .

قال فنشلي « يتفق معي علماء الجيولوجيا في أن هذه الصخور المنحوتة ، ترجع إلى أيام الحضارة التي قامت على هذا الكوكب يوماً ما .. أما الآن فيمكننا أن ننحرف بالطائرة إلى هذا الاتجاه ، حتى نرى كيف قامت المدينة القديمة على شاطئ الخليج » .

اتجه قائد الطائرة إلى ناحية الصخور ، ولاحظ أوتيس أنها تشكل نهاية هضبة ، تنتهي عند طرفها الآخر بهوة عميقة ، أشار إليها فنشلي وهو يقول « هنا كان يجري النهر منذ آلاف السنين » . أدركوا في طيرانهم حدود المدينة القديمة ، فسأل أوتيس «ألم تتوصلوا بعد إلى جنس المخلوقات التي شيدت مثل هذه المدينة الضخمة » . أجاب فنشلي « ليس بعد .. ولو أن بعض أفراد بعثة التنقيب قاموا بدراسات ترجّح أنها من صنع التورانجيين» .

سأل أوتيس مندهشاً « هذه الحيوانات التي كنتم تصيدونها منذ قليل ؟! » أجاب فنشلي « هذا مجرد إحتمال .. لقد عثرت بعثة التنقيب على بعض الأدلة التي تفيد أن المدينة لم تدمر نتيجة هزة أرضية أو زلزال . لقد عثروا على آثار حرائق ، وبقايا صواريخ متفجرة .. نظريتهم تقول إن التورانجي الحالي هو سلالة منحطة لحضارة متطورة قامت على هذا الكوكب » .

غرق أوتيس في تفكير عميق ، ثم قال «عليكم أن تتأكدوا من سلامة هذه النظرية .. فلو أنها صحيحة ، يصبح عليكم أن تتوقفوا عن قتل هذه المخلوقات .. فأياً كان مستوى تطورها الحالي ، فقانون بعثات استعمار الكواكب به نصوص واضحة حول التصرف مع سكانها » .

تمالك فنشلي نفسه بصعوبة وهو يقول مستنكراً « هؤلاء القرود ؟! .. » هز أوتيس رأسه مؤمناً وهو يقول «نعم .. وإلى أن تتأكدوا من أنهم لا يزيدون عن كونهم مجرد حيوانات » ، ثم استطرد بعد أن ألقى نظرة من نافذة الطائرة «بودي لو هبطنا هنا ، لألقي نظرة على هذه الأطلال» .

نظر فنشلي إلى ساعته في ضيق ، غير أنه استسلم وأعطى أمره لقائد الطائرة بالهبوط .

أخذ أوتيس يتطلع إلى المواقع التي كانت بعثة التنقيب تعمل بها ، وقد ظهرت أدواتهم وأجهزتهم مبعثرة في أنحاء المكان . ترك أوتيس المهندس فنشلي مع قائد الطائرة ، وابتعد ملتفاً حول كوم القاذورات التي كانت قد أخرجت من مدخل أحد البيوت القديمة . ولاحظ أوتيس الأحجار التي بني منها البيت ، وقطع الصلب المستخدمة في البناء ، غير أن المكان بأكمله بدا كما لو كان قد تدمر نتيجة لانفجار شديد .

تقدم أوتيس عدة خطوات إلى داخل المبنى ، ولاحظ ارتفاع حوائطه الداخلية ، وقد ظهرت فيها بعض العقود التي كانت بلا ريب نهاية نوافذه ، فقال متمتماً «هذه بلا شك بقايا حضارة متطورة قديمة» . أخذ يتطلع حوله في فضول عندما لمح فجأة حركة خلف فتحة مظلمة إلى يمينه . كان متأكداً من أن فنشلي لم يتبعه . فلا بد انه أحد المنقبين ، فرفع صوته قائلاً «ألا توافقني على ذلك ؟ ..» وأدار رأسه منتظراً ، فلم يحصل على إجابة أو يلمح أي حركة .. بل وصل إليه الحديث الدائر بين فنشلي وقائد الطائرة على مسافة كبيرة منه .. تمتم أوتيس حائراً ، «ماذا جرى ؟ .. هل بدأت أتخيل الأشياء ؟ ..» وحتى يستعيد ثقته بنفسه واصل مسيرته داخل البيت غير أن غريزته دفعته إلى التوقف فجأة في مكانه ، فقال لنفسه «ماذا جرى يا جيف ؟ لا تكن غبياً .. ما الذي سيكون بالداخل ، أشباح ؟!»

تقدم أوتيس متشجعاً إلى الفتحة التي تصدر حركة ما خلفها ، انحنى قليلاً حتى يدخل رأسه فيها ، ونظر ناحية اليمين فلم ير شيئاً .. وأدار وجهه ناحية اليسار فالتقت عيناه مباشرة بعينين سوداوين واسعتين .

كان المخلوق التورانجي الواقف أمامه ، في مثل طوله ، ذراعاه أشبه

بذراعي القرد ، وجسده مغطى بفراء رمادي قصير مجعّد . وظهر فم المخلوق بلا أسنان ، وكأنه مخصص للمص لا للمضغ . وقد استقرت عيناه على جانبي جمجمته الضيقة أشبه بكرتي رفع الأثقال الحديديتين ، وفي المكان المفترض للأذنين ، تتحرك مقلتاهما بسرعة ملفتة ومع مزيد من التأمل لاحظ أوتيس فتحتي الأذن في موضع تحت العينين ، تكادان تختفيان تحت فراء الرقبة .

أحس أوتيس بظهره يؤلمه من طول انحنائه ، فاعتدل قليلاً وهو يقول «هاللو .. » ثم شعر بسخافة قوله كوسيلة للتفاهم مع هذا المخلوق .

كان رد فعل المخلوق أن تحرك بسرعة شديدة ماداً ذراعه الطويلة إلى الأرض ، فتراجع أوتيس قليلاً مخرجاً رأسه من داخل ثغرة الجدار ، في الوقت الذي اندفعت فيه قطعة من الحجر تصفر أمام أنفه . صاح أوتيس محتجاً « هيه ! ! .. » ، فلم يسمع سوى حركة المخلوق التورانجي السريعة وهو ينتقل بين الأطلال .

عندما أفاق أوتيس من الصدمة ، انصرف في تثاقل متجهاً إلى الطائرة .

* * *

بعد عدة دقائق ، قال أوتيس لفنشلي وهما داخل الطائرة «لو أني بقيت في مكاني لهشم الحجر رأسي» ، علق فنشلي بلا كبير اهتمام «انهم شديدو السرعة .. فمنذ أن قدمنا إلى هنا ، لم يستطع رجالي أن يصطادوا أكثر من ستة» .

في صباح اليوم التالي توجه أوتيس للقاء فنشلي بمكتبه في المبنى الوحيد المقام من الأسمنت والزجاج . والذي يستخدم كقيادة عليا للمستعمرة .

جلس أوتيس في المقعد المواجه لمكتب فنشلي ، وأخذ يطرح عليه ما وصل إليه من استخلاص فيما يتصل بمخلوقات تورانج . وقال بعصبية « أنا لا أفهم هذا .. لماذا تصل إلى هذه النتائج الكبيرة من مجرد الملاحظات المتفرقة التي عرضت لك ؟ .. » ، قال أوتيس بإصرار « من أين لنا أن نجزم بأنهم ليسوا من المخلوقات الذكية ؟ ! » .

لاحظ أوتيس عدم الارتياح الذي ظهر على فنشلي فقال محاولاً إقناعه بوجهة نظره « اسمع .. بعد كل البؤس الذي لمسناه في النظم الاستعمارية على الأرض ، نسعى إلى تلافي تلك الأخطاء القديمة في إدارتنا للمستعمرات الفضائية .. واحتمال عثورنا على حضارات متطورة ومخلوقات ذكية فوق سطح أحد الكواكب التي نرتادها ، أمر وارد ومحتمل ... ألم تقرأ النصوص المتصلة بهذا الموضوع في القانون الذي نشر أخيراً ؟ » . أجاب فنشلي محتداً « لحظة من فضلك .. لن أسمح بأن تصورني في شكل البربري الهمجي الذي يسعى إلى إبادة كل شيء يتحرك فوق هذا الكوكب .. إننا لا نخرج في رحلات خاصة لاصطياد التورانجيين . فقط نصدهم عندما يقتربون من مواقع مشاريعنا .. » نظر إليه أوتيس في تعاطف ، وقد أحس أنه أثقل عليه بهذا الموضوع ، وسط إنشغالاته العديدة في إنجاز المشروعات التعميرية المسندة إليه ، فقال بصوت هادئ « كل ما أطلبه أن تصدر أمراً بالتوقّف عن قتل هذه المخلوقات .. على الأقل إلى أن نتثبت من مستوى تطورها » .

* * *

إتجه أوتيس مباشرة من مكتب فنشلي إلى مركز الاتصال بالأرض ، حيث أملى تقريراً طويلاً حول الموضوع بناء على الاتفاق الذي انتهى إليه

مع فنشلي ، ومضت عدة ساعات قبل أن يصل رد الأرض إلى تورانج .

عند مشروع مصنع التعليب المقام عند الشاطئ عثر أوتيس على فنشلي ، فأطلعه على الرد ، وأخذ يقرأ له بعض فقرات التقرير « .. وابتداء من اليوم يجري اعتبار المخلوقات الشبيهة بالقرود على الكوكب تورانج رقم كذا . وكذا .. من المخلوقات النادرة . وبناء على التعليمات .. إلى آخره .. إلى آخره » .

عقب فنشلي قائلاً « اترك لي هذه التعليمات حتى أذيعها على العاملين هذا الكوكب ، وأنشرها في النشرة اليومية » .

عاد أوتيس سعيداً إلى الطائرة التي نقلته إلى الموقع . سأله قائد الطائرة « إلى حيث كنا يا سيدي ؟ » قال أوتيس « نعم » ، ثم استدرك « لا .. اذهب بي على سبيل التسلية ، إلى اطلال المدينة القديمة التي زرناها من قبل ، حتى القى عليها نظرة أخيرة قبل أن أغادر كوكبكم » .

عندما هبطت الطائرة لاحظ أوتيس وجود رجلين من الجيولوجيين ينقبان في المنطقة ، فقال لقائد الطائرة «سأتجول قليلاً ثم أعود إليك» ، وهبط من الطائرة متجهاً إلى الرجلين .

تبادل معهما التحيات ، وسألهما عن مدى تقدم العمل في التنقيب ، فقال أحدهما « إننا نحاول أن نصل إلى أسلوبهم في البناء » فسأل أوتيس « وما هو آخر ما وصلتم إليه » . أجاب الرجل « من الواضح أنهم لم يكونوا يختلفون عنا كثيراً في أساليبهم وعاداتهم .. سواء بالنسبة للحجرات أم ارتفاع الأبواب ، أم نوع الدرج المستخدم .. وهذا يفيد انهم كانوا أيضاً يقاربون طولاً » ، ثم استدرك « بالطبع هذه تقديرات تقريبية .. » . تمعن أوتيس في

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

أن يفهم اعتذارنا ، وخجلنا مما حدث بين جنسينا قديماً .. قديماً جداً .. »

صاح أوتيس مندهشاً « بيننا ؟! .. » قال جاك « .. نعم .. منذ زمن بعيد .. لقد تصورنا ساعتها أنكم قد ذهبتم إلى غير رجعة .. ونحن اليوم سعداء إذ نراكم تعودون إلى واحد من كواكبكم القديمة » .

وقف أوتيس متجمداً في مكانه .. وأحس جاك بحيرته ، فقال « قد أكون نسيت أن أفسر لك أمر هذه الأطلال انها ليست لنا .. انها اطلالكم ! ! .. » .

الوليد المرعب

في الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين بعد منتصف الليل ، بتوقيت جرينتش ، من صباح الأول من ديسمبر ١٩٧٧ ، أطلقت جميع تليفونات العالم أجراسها .

رفع ربع بليون شخص سماعات التليفون ، وانصتوا لعدة ثوان في ضيق واندهاش . أولئك الذين أوقظوا في منتصف الليل ، تصوروا أن بعض الأصدقاء يحاولون الاتصال بهم من مكان بعيد ، عن طريق شبكة تليفونات القمر الصناعي ، التي بدأت عملها في اليوم السابق وسط ضجة إعلانية واسعة النطاق . إلا أنهم فشلوا في التقاط أي حديث من الطرف الآخر ، مجرد اصتوات .. بدت لكثيرين منهم أشبه باصطخاب الأمواج ، كما بدت للبعض الآخر كأصوات آلة الهارب الموسيقية عندما توضع في طريق ريح قوية . تباينت الأقوال في وصف ذلك الصوت ، فمن قال إنه أشبه بصوت الدم في العروق ، إلى من يقوله إنه أشبه بالصوت الذي نسمعه عندما نضع محارة على أذننا .. إلى من قال إن ذلك الصوت يذكره بأصوات خفية ترجع إلى أيام طفولته الأولى ... أياً كان ذلك الصوت ، فإنه لم يستمر لأكثر من عشرين ثانية ، ثم عاد إلى التليفون أزيزه الطبيعي الذي نسمعه عندما نرفع السماعة عادة .

تصاعدت لعنات المشتركين وهم يعيدون سماعة التليفون إلى مكانها . حاول البعض الاتصال بأرقام الشكاوى لإبلاغ شكواه ، لكنها كانت جميعاً مشغولة بصفة مستمرة . وبعد عدة ساعات نسي الجميع القصة برمتها ، فيما عدا هؤلاء الذين كان من واجبهم أن يقلقوا لمثل ما حدث .

في مركز أبحاث إدارة الاتصالات السلكية واللاسلكية ،امتدت المناقشات طوال الصباح ، وتعددت الآراء ، غير أنها لم تصل بهم إلى قرار . وعادت المناقشات لتستمر بنفس حدّتها في فترة تناول الغداء ، عندما تدفق المهندسون الجائعون إلى المطعم الصغير عبر الطريق .

قال ويلي سميث المهندس الالكتروني بمركز الأبحاث «ما زلت أعتقد أن ما حدث لا يزيد عن كونه تنفيث عارض لفائض التيار الذي نشأ عن البدء في تشغيل شبكة الاتصال التليفوني عن طريق القمر الصناعي» . وعلّق جول راينر مهندس التصميمات «أنا معك في ارتباط ما حدث بتشغيل الشبكة الجديدة ، إلا أن الفارق الزمني هو الذي يحيرني .. الفارق الزمني بين بداية تشغيل الشبكة عند منتصف الليل ، وحدوث هذه الظاهرة بعد حوالي ساعتين تقريباً ..» .

وتساءل بوب اندروز ، مسؤول برامج العقل الالكتروني «بماذا تفسر هذه الظاهرة يا دكتور ؟ .. لقد بقيت صامتاً طول هذا الصباح ، واعتقد انك قد كونت فكرة ما ..» تحرك دكتور جون وليامز رئيس قسم الأبحاث الرياضية بضيق ثم قال «نعم عندي فكرة .. ولكنني لا أعتقد أنكم ستأخذونها مأخذ الجدّ ..» فقال بوب «هذا لا يهم .. حتى لو كانت فكرة خرافية حالمة ، كأفكار قصص الخيال العلمي التي تنشرها تحت اسم

مستعار .. فهي قد تفتح أمامنا أبواب التفكير فيما حدث» .

احمرّ وجه الدكتور وليامز بعض الشيء .. فالكل يعرف تمسكه بهواية كتابة قصص الخيال العلمي ، وهو لا يخجل من هذا .. ولكنه يضيق بنظرة الناس إلى هذه الهواية . لكنه عاد فتمالك نفسه ، وقال وهو ينقر على المائدة «حسن جداً .. إن هذه الظاهرة تتصل بموضوع أفكر فيه منذ سنين .. هل لاحظ أحدكم التشابه بين عمل التليفون الآلي ، وعمل المخ البشري ؟ » .

قال أحد الجالسين «ومن الذي لم يلاحظ مثل هذا التشابه ؟! .. إن ملاحظة مثل هذا الشبه تعود بلا ريب إلى أيام جراهام بيل نفسه ! ..»

واصل وليامز حديثه قائلاً «هذا أمر محتمل .. لم أقل انها فكرة شاذة لا تخطر على بال أحد .. لكنني أعتقد أنه قد حان الوقت لأخذها مأخذ الجد ، ثم راح ينظر مفكراً إلى مصابيح الفلورسنت المعلقة فوق المائدة والتي لم يكن من الممكن الاستغناء عنها حتى ساعة الظهيرة ، وسط ذلك الجو الشتوي الضبابي المعتم ، ثم قال «ما الذي حدث لهذه المصابيح .. ان نورها يتذبذب بشكل غريب طوال الدقائق الخمس الماضية» .

قال سميث «لا تقلق .. لا بد أن مورجان صاحب المطعم قد نسي أن يسدد فاتورة الكهرباء ... دعنا الآن نسمع المزيد عن نظريتك هذه» .

قال الدكتور وليامز «إنها ليست نظرية .. هي مجرد مجموعة من الحقائق البسيطة . نحن نعلم أن المخ البشري عبارة عن شبكة محولات .. نيورونات أو خلايا عصبية تتصل أو تنفصل عن الأعصاب وفق نظام محكم والتليفون الآلي يعتمد هو الآخر على شبكة من المحولات .. تحل فـ الأسلاك محل الأعصاب ..» .

علق سميث قائلاً « أوافق ، ولو أن هذه المقارنة لن تمضي بنا بعيداً .. فالمخ كما نعلم يتضمن حوالي خمسة عشر بليون نيورون أو خلية عصبية .. »

قبل أن يتكلم دكتور وليامز ، ارتج المكان بالصوت المزعج لطائرة صاروخية تطير على ارتفاع منخفض . فصاح اندروز ساخطاً « لم يحدث أن طاروا على هذا الارتفاع المنخفض .. اعتقد أن هذا مخالف للتعليمات » .

فعقب أحدهم « لا تقلق ، فطار لندن قادر على اصطيادها .. »

قاطعه سميث قائلاً بعصبية « سنكمل مناقشتنا هذه أم لا ؟ »

ونظر إلى دكتور وليامز الذي قال « لك كل الحق فيما ذكرته .. قد يبدو رقم خمسة عشر بليوناً رقماً كبيراً ، لكنه ليس كذلك . ففي عام ١٩٦٦ مثلاً ، بلغ عدد خطوط التليفون الآلي في العالم ما يتجاوز هذا الرقم .. واليوم ، اعتقد أن عددها قد تضاعف خمس مرات » .

قال راينر متأملاً « فهمت .. تريد أن تقول إنها ابتداء من الأمس أصبحت قادرة على الاتصال الكامل المتبادل بينها .. وانها شرعت في نشاطها بعد أن ربط بينها القمر الصناعي .. » .

« بالضبط » ، قالها الدكتور وليامز ، فعم سكون قصير ، علا بعده صوت سميث فوق الصوت الذي تصدره عربات إطفاء بعيدة ، قال « دعوني أفهم كلامكم جيداً .. هل تفترضون أن شبكة الاتصالات التليفونية الآلية بعد ارتباطها بالقمر الصناعي ، قد أصبحت مخاً عملاقاً ؟ ! ! » .

أجاب الدكتور وليامز « ليس بالضبط .. ما أريد أن أشرحه هو أن التليفونات حتى أمس كانت مجموعة من الشبكات الآلية . لكنها الآن وبعد أن حققت فيما بينها هذا الاتصال الوثيق ، تضاعفت طاقتها إلى حد

أن وصلت بنا إلى اللحظة الحرجة » .

تساءل سميث «وماذا تقصد باللحظة الحرجة التي تحققت ؟» .

أجاب وليامز «إذا أردت التعبير المحدد .. أقصد .. الشعور !» .

علق راينر «تقصد نوعاً من الشعور سرى في الأسلاك ، ولكن ما الذي يعمل كأعضاء حس تغذي هذا الشعور ؟» .

أشار دكتور وليامز بيديه وهو يقول « كثير .. كثير .. كل محطات الإذاعة والتليفزيون في العالم يمكن أن تكون مصدر تغذية مستمرة لها بالمعارف والمعلومات ، هذا هو ما يعطي الشبكة شيئاً تمكر فيه، ثم هناك كل المعلومات المخزونة في العقول الالكترونية المنتشرة على سطح الأرض .. أضف إلى ذلك جميع المكتبات الالكترونية .. وشبكات الرادار .. ونظام التشغيل الالكتروني في المصانع الآلية ، يالله ، سيكون لديها ما يغنيها عن أي أعضاء للحس . قد لا تستطيع أن تتخيل صورة العالم في نظرها بعد كل هذه التغذية .. لكنها ستكون بلا ريب صورة أكثر تعقيداً وتركيباً وثراء بالنسبة لصورته في نظرنا» .

قال راينر وهو يبتسم « دعنا نصدق هذا ، فالفكرة بلا شك مسلية .. ولكن ، ما الذي ستعمله شبكة الاتصال التليفوني بكل هذه المعلومات ، غير أن تمكر على أكثر تقدير ؟ . انها لن تذهب إلى أبعد من هذا .. فليس لها من الأطراف أو الأعضاء ما يسمح لها بالانتقال من التفكير إلى العمل» .

قال وليامز بنبرة ساخرة « ما الذي يضطرها إلى الحركة .. ستكون قادرة على التواجد في كل مكان .. فكل جهاز كهربائي للتحكم والتحريك عن بعد على ظهر هذه الأرض .. سيعمل كعضو من أعضائها» .

صاح أندروز ضاحكاً «الآن فهمت سر التأخير الذي حدث في هذه الظاهرة .. لقد تم التوصيل بالقمر الصناعي في منتصف الليل .. لكن المخ العملاق لم يولد إلا في الساعة الواحدة والخمسين دقيقة من هذا الصباح .. والأصوات التي أيقظتنا جميعاً .. كانت صرخات المولود الأولى ! » .

لم يستجب أحد الحاضرين لفكاهته . وفي نفس الوقت تضاعف تذبذب الضوء واهتزازه بشكل يبعث على الضيق . وتطلع الجميع إلى مدخل المطعم ، عندما اقتحمه جيم سمول المشتغل بقسم امدادات الطاقة ، وأخذ يصيح على طريقته المعتادة في المزاح «أنظروا إلى هذا أيها الأصدقاء .. لقد أصبحت من أعظم الأغنياء .. هل تلقى أحد منكم مثل هذا البيان من مصرفه ؟! » ، قال هذا وهو يلوح بورقة في وجه زملائه .

تناول دكتور وليامز تقريرالبنك ، وراجع الأرقام التي به ، ثم قرأ وقد ظهرت الدهشة على وجهه «٩٩٩ مليون جنيه !» واستطرد وسط تعليقات الجالسين «ليس في هذا جديد ، فشبكة العقول الالكترونية التي بدأ العمل بها في البنوك حديثاً ترتكب مثل هذه الأخطاء» .

قاطعه سمول «أعلم .. أعلم هذا .. لكن أرجوك لا تفسد متعتي .. سأضع هذه الورقة داخل إطار جميل أعلقه في صدر بيتي .. بل ربما استندت إليها ، وأرسلت أصرف شيكاً ببعض الملايين» ، وفكّر للحظة ثم قال «هل يمكنني أن أقاضي البنك إذا امتنع عن الصرف ؟» .

قال له راينر «لا تسترسل في الأحلام .. ابحث جيداً في الورقة التي معك ، وستجد أن البنك قد أضاف بحروف صغيرة جداً ، في جهة ما منها .. فيما عدا السهو والخطأ .. «ضحك الحاضرون فاستطرد «بالمناسبة

متى وصلتك هذه الورقة ؟»

أجاب سمول «في بريد الظهر .. فقد طلبت منهم أن يرسلوا حسابات رصيدي إلى المكتب ، حتى لا تطلع عليه زوجتي أول بأول .. »

تمتم راينر «معنى هذا أن الرصيد تم حسابه بالعقل الالكتروني هذا الصباح .. وبالتأكيد بعد منتصف الليل .. » ، فتساءل سمول «ماذا تعني بهذا ؟ .. وما هذا الوجوم الذي يطبق عليكم جميعاً ؟»

لم يحظ سمول بإجابة على سؤاله .. بل تساءل سميث «هل يعرف أي منكم شيئاً عن النظام الالكتروني للبنوك ؟ وكيف ترتبط ببعضها البعض عن طريق الشبكة الجديدة ؟ .. » أجاب أندروز «مثل أي شيء هذه الأيام .. انها تعمل كلها في إطار نفس النظام .. العقول الالكترونية داخل البنوك تتحدث إلى بعضها البعض .. على امتداد الكرة الأرضية» ثم أضاف «هذه نقطة في صفك يا دكتور وليامز .. فلو أن المتاعب التي نتوقعها قد تحققت فلا شك أن مجالها الأول سيكون في مثل ذلك المحيط ، بالإضافة إلى .. » .

صاح راينر مقاطعاً باحتجاج «لم أحظ حتى الآن بإجابه عن السؤال الذي طرحته قبل مقدم سمول .. ما الذي يمكن لذلك العقل العملاق أن يفعله بالضبط ؟ هل سيتصرف معنا بود وتعاطف .. أم بعدوانية ، أم سيتجاهلنا كلية ؟ .. هل سيشعر بوجودنا ويدركه ؟ . أم سيعتبر الإشارات الالكترونية التي يتعامل معها ، هي الوجود الوحيد في الكون ؟ .. » .

أجاب وليامز وقد ظهرت على وجهه ابتسامة انتصار «أرى انك بدأت تصدق افتراضي .. لكن لكي أجيب عن سؤالك ، لا بد لي من أن أطرح سؤالاً آخراً .. ما الذي يفعله الطفل الوليد بمجرد ولادته ؟ انه يبدأ بحثه عن

الطعام» وألقى نظرة خاطفة على مصابيح الفلورسنت التي تزايد اضطرابها بشكل واضح ، ثم قال بصوت خافت «يا إلهي .. لن يحتاج سوى طعام وحيد .. الكهرباء !» .

تململ سميث في مكانه ثم قال «هذا العبث قد جاوز الحد .. ما الذي حدث لغدائنا بحق الجحيم ؟ لقد طلبناه منذ أكثر من نصف ساعة» .. لم يلتفت أحد إلى كلماته ، وقال راينر مواصلاً الحديث السابق «وبعد هذا يبدأ الطفل الوليد في التطلع حوله ، محركاً أطرافه .. وبمعنى أدق سيبدأ اللعب .. كما يفعل أي طفل آخر ..» ، فعقب أحد الحاضرين «وهم في كثير من الأحيان يخربون ما حولهم» . فاستطرد راينر «سيكون لديه ما يكفيه من الألعاب .. هذه الطائرة الصاروخية التي كادت أن تتحطم فوق رؤوسنا .. خطوط الانتاج الآلي في المصانع .. اشارات المرور في الشوارع ..» .

فقاطعه سمول قائلاً «غريب أن تذكر هذا .. فقد طرأ على حركة المرور اضطراب نادر .. فاختلط السير ، وتوقفت جميع السيارات في مكانها منذ عشر دقائق» وصاح سميث ينادي صاحب المطعم في ضيق وتبرم «مورجان .. ما الذي حدث للإضاءة ؟ ابحث لنا عن مصباح آخر .. إننا لا نرى شيئاً مما حولنا» ..

هنا قال راينر فجأة «لقد تذكرت .. هذا المطعم يفخر دائماً بأن مطبخه يسير دائماً وفقاً لنظام آلي دقيق معتمداً على الكهرباء .. ابشروا فطعامكم سيقدم إليكم بارداً .. هذا إذا حظيتم بأي طعام ..» .

قال سميث مخاطباً سمول «على الأقل أعطني الجريدة التي تحملها ،

أقرأ فيها حتى يأتي الطعام .. هل هي الطبعة الأخيرة ؟» أجاب سمول «نعم .. ولم أجد وقتاً لألقي نظرة عليها ..» وتطلع إلى العناوين الكبيرة وهو يقول «يبدو أن عدداً كبيراً من الحوادث الغريبة قد حدث هذا الصباح .. وصلات وتحويلات السكك الحديدية قد اختلطت ، وفاضت خزانات المياه في أثر اعطال أصابت أجهزة التصريف الآلي بها .. و.. مئات الشكاوى من أجراس التليفون التي دقت بالليل .. و..» ثم قلب الصفحة الأولى .. وصمت فجأة وهو يتطلع إلى الجريدة مذعوراً ...

فصاح أخدهم بفضول «ما الذي حدث ؟ .. تكلم» وبدون أن يتكلم ناولهم الجريدة ، الشيء المعقول الوحيد فيها كان الصفحة الأولى بما فيها من عناوين كبيرة .. أما في الداخل فقد اختلطت الحروف والسطور والأعمدة في فوضى كاملة .. مع جزر صغيرة هنا وهناك من الاعلانات التجارية التي تصنع الشيء الوحيد المعقول في الصفحات .. فقد أنقذتها قوالبها الثابتة التي سبق اعدادها ، من الخضوع لهذه الفوضى .

قال أندروز متذمراً «إذن .. فهذا هو ما أوصلتنا إليه شبكة صف الحروف اللاسلكية التي تعتز بها صحف هذه الأيام .. أخشى أن يكون حي المال في (فليت ستريت) قد وقع في نفس المأزق باستخدام شبكة العقول الالكترونية»

قال دكتور وليامز بوقار «هذا هو حالنا جميعاً .. حالنا جميعاً» .

فصاح سميث غاضباً «وما الذي يقلقنا هكذا .. إذا ما ثبت صدق خيالك يا دكتور .. فليس أسهل من أن نبطل عمل القمر الصناعي .. فتعود الأحوال إلى ما كانت عليه» .

تمتم دكتور وليامز «استئصال الفص الجبهي .. لقد فكرت في هذا ..» .

واستطرد سميث «نعم .. سيريحنا من كل هذه المشاكل .. ستكون الخسارة المالية باهظة .. وسنضطر إلى معاودة الاعتماد على البرقيات في اتصالاتنا .. لكن هذا سيحفظ لنا حضارتنا» .

توقف الجميع عن الحديث عندما وصلت إلى اسماعهم أصوات الانفجارات الحادة . فقال أندروز بقلق «دعنا نسمع ما تقوله محطات الإذاعة .. لقد حل موعد نشرة الظهيرة» وأخرج من حقيبته جهاز راديو صغير ، وضبط مفاتيحه .

«... بالإضافة إلى عدد من الحوادث غير المتوقعة في مجال الصناعة كذلك انطلقت فجأة ثلاثة صواريخ من القواعد العسكرية الأمريكية من تلقاء نفسها . ولجأ الكثير من المطارات إلى التوقف عن العمل بعد الأخطاء المتعاقبة التي وقعت فيها أجهزة الرادار التي تعتمد عليها . أما سوق الأوراق المالية فقد أغلقت أبوابها بعد أن ثبت عدم جدوى الاعتماد على أجهزة الاتصال التي تستخدمها .. لحظة واحدة من فضلكم .. اليكم هذا الخبر الهام .. لقد وصل إلى علمنا الآن اننا قد فقدنا قدرتنا على التحكم في شبكة الاتصال عن طريق الأقمار الصناعية التي بدأت عملها اليوم .. لم تعد الأقمار الصناعية تستجيب لأوامر أجهزة الاتصال الأرضية .. وبالرجوع إلى الأخبار التي ..» .

وصمتت محطة الإذاعة تماماً .. حاول أندروز أن يبحث عن محطة أخرى ، فلم يصدر عن الراديو الصغير أيّ صوت على الإطلاق .

صاح راينر بصوت هيستيري «لقد سبقنا ! .. كانت فكرة طيبة يا دكتور .. فكرة استئصال الفص الجبهي في العقل الالكتروني .. لكن الطفل

الوليد قد سبقنا إليها واتخذ احتياطاته ! » .

نهض الدكتور وليامز في تثاقل واكتئاب ، ثم قال « دعونا نعود إلى معملنا .. لا بد من وجود حل لهذه المشكلة الخطيرة .. في مكان ما على سطح الأرض » ..

ومضى خارجاً من المطعم ، وهو يعلم جيداً استحالة ذلك الاحتمال بعد أن تطورت المشكلة إلى هذا المدى .

فعلى الجنس البشري أن يدرك .. لقد دقت تليفونات العالم أجراسها .

روائع قصص الخيال العلمي

تضم هذه السلسلة :

مغامرة على كوكب الزهرة
محنة النجم الأسود
سفينة الفضاء الملعونة

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩٠ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)